

السهيلي وابن السيرة

لأستاذ محمد اليوسفي

توطئة :

تشكل السيرة النبوية العطرة مجالا خصيبا للدرس، والاعتبار واستنباط الاحكام التشريعية، لانها تكوّن سجلا متألّقا، متكاملا، يجسد الصورة المثالية للرسول عليه الصلاة والسلام في خصوصياته الانسانية المهيبة واصطفائه المتفرد باعتباره خاتم الانبياء والرسل عليهم السلام، أي باعتباره ناسخا لمرحلة تاريخية طبعّت بالعدوانية والجاهلية بمرحلة فتقت حجب الفكر الانساني، ووجهته نحو التوحيد، والتحدن، والابداع. بمعنى أن سيرة الرسول تمثل التفسير الميداني العملي لطبيعة التحول التاريخي الذي فجره نور النبوة، ومن ثم فهي تشكل - على الصعيد العلمي التاريخي - الوثيقة الحيوية الحافلة بالعلل الموضوعية التي أفرزت كثيرا من المواقف الحاسمة في تاريخ الدعوة. كما أنها - على الصعيد الروحي الاخلاقي - سجل طافح بالدروس والعبر التي تشحن شخصية المسلم بمجموعة من المقومات المعنوية والنفسية التي تجعله في مستوى الطموح الاسلامي النموذجي، كما أنها تشكل - على صعيد الكتابة والتدوين - مصدرا أساسيا لإضاءة مرحلة الدعوة، والنفوذ الى ملابساتها، وغوامضها، وتعليل مظاهرها، وافاقها. إضافة الى كونها منهلا طافحا بالآداب، والمعارف الانسانية التي سادت يومئذ، والتي كانت رافدا ثقافيا من روافد المراحل الثقافية المستقبلية.

ونتيجة لهذه الخصائص الشمولية التي تتفرد بها السيرة النبوية تكاثفت الكتابات في فنونها سواء على صعيد التدوين⁽¹⁾ أو الشروح⁽²⁾ أو الاستنباطات

(1) من رواد التدوين السري الأول : عروة بن الزبير المتوفى عام 92 هـ، وأبان بن عثمان المتوفى عام 105 هـ وابن شهاب الزهري المتوفى عام 135 هـ، وقد ضاعت هذه الكتابات، ولم تبق منها إلا تنف في تاريخ الطبري

الفقهية⁽³⁾ أو المولديات⁽⁴⁾ أو المنظومات⁽⁵⁾.

(ت 310 هـ) وبعض المصادر المبكرة ومن المبدعين بعدهم : الأئمة : موسى بن عتبة بن أبي عياش المتوفى عام 141 هـ له «كتاب المغازي» الذي قال فيه أحمد بن حنبل : «عليكم بمغازي ابن عتبة، فإنه ثقة»، ومحمد بن إسحاق الملقب المتوفى عام 307 هـ، له «المغازي النبوية»، ومحمد بن سعد البصري، كاتب ابن اسحاق، المتوفى عام 218 هـ وصاحب «الطبقات الكبرى»، ثم عبد الملك بن هشام المتوفى عام 218 هـ، مهذب ومنقح سيرة سلفه ابن اسحاق، وتصنيفه محقق معروف، ثم أبو عيسى الترمذي المتوفى عام 279 هـ صاحب «الشمال النبوية» أو «المحمدية» حققه محمد عفيف الزغبى. ويمكن اعتبار هذه الكتابات مصادر أساسية للسريين اللاحقين، لما اتسمت به من دقة في الرواية، وترو في النقل. ومن هؤلاء : القاضي عياض السبتي المتوفى عام 544 هـ، صاحب «الشفائي التعريف بمحقق المصطفى» وهو أقرب الى الشمال منه الى السيرة ومنهم أبو الفتح محمد بن سيد الناس الاندلسي المتوفى عام 743 هـ، وله : «عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير» وهو نفيس ومنهم تقي الدين أحمد بن علي المقرئ المتوفى عام 745 هـ، مؤلف «إمتاع الاسماع بما للرسول من الآباء والاموال والخفدة والمتاع» ذكر الزركلي أنه مخطوط في تسعة مجلدات، طبع أولها. ومنهم محمد بن يوسف الشامي المتوفى عام 942 هـ مؤلف كتاب «سنن الهدى في سيرة خير العباد» عرف بالسيرة الشامية. ومنهم مسعود جموع المغربي المتوفى عام 1119 هـ صاحب «نفائس الدرر في سيرة سيد البشر». ومحمد بن عبد الرحمن الدلائي المغربي مؤلف «زهر الحدائق وخلاصة الحقائق في سيرة سيد الخلائق» وهو مخطوط. ومنهم الشيخ المعطي ابن صالح الشرقاوي المتوفى عام 1180 هـ صاحب «ذخيرة المحتاج في سيرة صاحب اللواء والتاج» في 50 مجلدا موزعة في الخزائن الخاصة والعامة. وغير هذا مما تحتضنه المكتبة الاسلامية ماضيا وحاضرا.

(2) من الشروح المشرقية للسيرة النبوية : «كشف اللثام في شرح سيرة ابن هشام» ليدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفى عام 855 هـ. و «إنسان العيون في سيرة الامين المأمون» لعلي بن برهان الدين الحلبي المتوفى عام 1044 هـ، وتعرف بالسيرة الحلبية، وهو شرح وتعقيب على سيرة ابن سيد الناس، والسيرة الشامية، ومنها : «السيرة النبوية والآثار المحمدية» للشيخ أحمد زيني دحلان المتوفى عام 1304 هـ واعتمد فيه على سيرة ابن هشام، والشفاء، و«عيون الاثر والسيرة الشامية، والحلية». وقال : «هذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن، فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرة النبي ﷺ إضافة الى الكتاب الذي نحن بصدد إضاءته» «الروض الانف» لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى عام 581 هـ.

(3) لا تخلو تصانيف السيرة من الاستنباط الفقهي، وخاصة شروحها، إلا أن بعض الفقهاء المحدثين تخصصوا في هذا الجانب الحيوي من السيرة، فقدما رؤى تحليلية قيمة كالدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه «فقه السيرة» والشيخ محمد الغزالي في «فقه السيرة» أيضا وغيرهما.

(4) عندما تذكر «المولديات» تقرر دائما بلون «الشمال» لأنها جميعا تهتم بالجانب الاعجازي، والاخلاقي، في شخصية الرسول ﷺ. وقد تختص الشمال بجانب واحد مثير في عظمة الرسول، وإذا كان ابن دحية والعزفي السبتي من أبرز المبدعين في هذا اللون أندلسيا، فإن المغاربة قد أثروه بشكل ملحوظ. وقد ذكر الدكتور عباس الجراري أنه وقف على أزيد من أربعين مولدا مغربيا ذكر منها عشرة. منها : مولد المعطي بن صالح الشرقاوي صاحب «الذخيرة»، ومولد «الرحمة للعامة في مولد خير الأمة» لمحمد بن المؤقت المراكشي (ت 1369 هـ). (ينظر : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ج 1 ص : 149 - 150).

(5) من أبرز ناظمي السيرة النبوية : الفتح بن موسى الجزيري القصري المتوفى عام 663 هـ، في منظومته «الوصول الى الرسول» وتقع في نحو ثمانية آلاف ومائة بيت، واختصت في سيرة ابن هشام؛ ومحمد بن ابراهيم الشهيد المتوفى سنة 793 هـ صاحب «الفتح القريب في سيرة الحبيب» وهي نظم لسيرة ابن سيد الناس. ومحمد بن عبد الرحمن بن الحاج الفاسي المتوفى عام 1232 هـ، نظم قصيدة ميمية في السيرة النبوية، وقعت في أربعة آلاف بيت وشرحها في خمسة أسفار. أما المنظومات المدحية فكثيرة، أشهرها بردة، وهزمية شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المتوفى عام 696 هـ. ومنها «المقصورة في مدح النبي» في ثلاثمائة بيت لعبد الرحمن بن علي المكودي الفاسي المتوفى عام 807 هـ، ومن أطرفها قصيدة «أزهار الكمامة في شرف العمامة» في ثلاثمائة وعشرين بيتا لأبي العباس المقرئ التلمساني المتوفى عام 1041 هـ وله أيضا : أرجوزة «فتح المتعال في مدح النعال» ومن أشهر المدايح المعاصرة «بردة» و «هزمية» أحمد شوقي المتوفى عام 1932 م وقد عارض بهما قصيدتي البوصيري المعروفتين.

أ - لمحة عن السير الاندلسية :

كانت الاسهامات الاندلسية في الفن السيري غنية سواء على مستوى التراكم المعرفي، أو الخصوصيات المنهجية، رغم أنها نهلت من الفضاء السيري المشرق، فأصلت الوقائع والأحداث من خلاله واستعارت بعض الادوات الاجرائية للقراءة والتحليل، تأسيسا بنماذج من العلوم الانسانية، رحلت من المشرق ووجدت في التربة الأندلسية بذور الإخصاب، «فاهتزت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج»⁽⁶⁾.

ويقدم الدكتور محمد رضوان الداية مجموعة من العلل التاريخية الموضوعية التي تبرز هذا التلاقح المشرقى الاندلسي نوجزها في الآتي :

- اختراق الكتاب لأقطار العالم الاسلامي عن طريق التجارة البرية والبحرية.
- صيرورة بغداد العاصمة الثقافية الأولى مع مدن، ومراكز أخرى إسلامية.

- مواظبة الاندلسيين على زيارة المشرق العربي لاداء فريضة الحج.
- انتشار المذهب المالكي، وتجذره في الاندلس، والمغرب، ومن ثم تحفز أعلام العدوتين لتقصي تراثه ولقاء رجاله.
- استقطاب الاندلس عددا من الرموز العالمة في المشرق، لتنشيط الحركة الثقافية الاندلسية، خاصة في عهد الامارات المروانية.

ويستنتج الباحث من ذلك :

- عدم تأثير القطيعة السياسية للأندلس عن المشرق في حقل الثقافة والعلوم.

- إثبات عدد من علماء الاندلس - في برامج وفهارس خاصة - مروياتهم وسماعاتهم للكتب، والنصوص المشرقية، والتنويه بالشيوخ الذين أخذوا عنهم القراءات والتفاسير والأصول... وسلسلوا طرق الاخذ عنهم
- مطابقة هذا الواقع العلمي المتعايش، لواقع التأليف الاندلسي في مجال

(6) اقتباس من سورة الحج الآية 5.

السيرة النبوية، ورغم استمرار رواية كتب السير والمغازي والأصحاب، الوافدة من المشرق، فإن للاندلسيين باعاً في هذا المجال.

- اعتبار القرن الخامس الهجري، بداية الانعتاق من التبعية المشرقية، وتأسيس منهج، ورؤيا خصوصيين في التأليف السيري⁽⁷⁾

ب - نماذج سيرة أندلسية :

قبل تقديم نماذج من السير النبوية الاندلسية، يجدر وضع محددات أساسية، لتاريخية هذا الفن وبواعثه العامة، والخاصة، وطبائعه الابداعية.

1 - على المستوى التاريخي : يؤخذ بكثير من التحفظ تحديدا الأستاذ رضوان الداية للقرن الخامس ميلاداً لفن السيرة الاندلسية، إذ لا يعقل غياب هذا الفن إبداعياً طوال ثلاثة قرون في موقع مطبوع بالاشعاع الثقافي الاسلامي، وقد ذكر الداودي لعالم الاندلس أبي مروان عبد الملك بن حبيب⁽⁸⁾ وهو من أعلام القرن الثالث (ت 228 هـ) ذكر له كتاب «مغازي الرسول» على ان توجيه الميلاد نحو القرن الخامس يمكن أن يعلل بالنشاط السيري فيه إبداعاً، وتوظيفاً. ثم بلوغه شأواً خاصاً في القرن السادس، يقول الدكتور حسين مؤنس راصداً ثم معللاً : «... وهذا الاتجاه نحو السيرة والمغازي وأخبار الصحابة ظاهرة من الناحية النفسية فإن أولئك العلماء الذين تعلقت آمالهم في عصر اليأس هذا بالقرآن والحديث اتجهت نفوسهم أثناء الحروب المتوالية نحو سيرة الرسول ﷺ ومغازيه، يستلهمون منها القوة والعزاء، وقد بلغ من اندماجهم في المغازي أن خرج الكثيرون منهم للجهاد ولقوا الشهادة»⁽⁹⁾.

2 - على مستوى البواعث : نسجل المشترك منها وهو الإبانة عن محبة رسول الله، والدعوة الى الاقتداء به في جهاده، وصبره وشمائله، وإذاعة هذا الفن في أوساط الناشئة والكبار للاعتبار والاهتداء، إضافة إلى وازع البحث العلمي الذي يحفز الى ارتياد هذه الآفاق. وطبيعة هذه البواعث موضوعية وأخلاقية بالاساس ، أما البواعث الخاصة فتأخذ طابعاً منهجياً فحيث نجد أن عبد البر

(7) تنظر مجلة «التراث العربي» السورية. العدد : 1 السنة 1 نونبر 1979 مقال : السيرة النبوية في التراث الاندلسي للدكتور محمد رضوان الداية : صفحة 69.

(8) طبقات المفسرين للداودي. ج 1 ص 347 وتشمل ثبنا موسعا لمصنفات ابن حبيب.

(9) شيوخ العصر في الاندلس. ص : 105.

في «الدرر في اختصار المغازي والسير» ينشد الاعتماد على مصادر الحديث، ورواية الثقات، والموازنة بين الخبر والحديث، وتحقيق أسماء الاعلام، إضافة الى اعتماد مصادر السيرة التقليدية، نجد ابن حزم (ت 456 هـ) في «جوامع السيرة» يقصد وضع الاصول التي لا يستغني عن تذكرها أو استظهارها كل مشغل بالسيرة النبوية من طلاب العلم. في حين تُلفي القاضي عياض (ت 544 هـ) في «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» مبيناً خصائص الرسول التي لم تجتمع من قبل في مخلوق. على ان الكلاعي (ت 634 هـ) في «الاكتفا...» ينشد نبذ الدعة المفرطة وموارد الجهالة ثم الحفز الى مواجهة العدو الصليبي. على ان ابن سيد الناس (ت 734 هـ) في «عيون الاثر» قصد الاختصار وعدم الاستطراد مع الاحاطة - في اجتهاد - بأخبار الرسول، وشمائله، ومغازيه.

3 - على مستوى طبائع الابداع في هذه الكتابات : نسجل في الأغلب - الابتعاد عن الطرح المباشر، التقريري للوقائع، وتوظيف خاصية التصوير الفني، من أجل التأثير الروحي، والسيكولوجي في المخاطب وقد نجد تجاوزاً أكبر حين تغشى الاسلوب مسحة إشراقية، تنم عن حالة عشق، أو فناء في الرسول. ويكتشف هذا في كتب الشمائل، والمولديات والرسائل المبعوثة الى مقام الرسول ﷺ، كما نسجل في كتب الشروح السيرية خاصة، نزوعاً الى فنون اخرى، أخصها اللغة، والنحو، والقراءات والآداب. وهذه تشكل رموز الثقافة الاسلامية يومئذ ولا غرو، فمؤلفو السير الاندلسية كانوا علامات فكرية بارزة في لحظتهم، فجسدوا الموسوعة العلمية يومئذ، تفقهاً في علوم القرآن والاصول والحديث، وبصراً باللغة والاشعار، ولعل هذا ما طبع كتاباتهم السيرية بنوع من التأصيل والغنى المعرفي حولها الى مصادر تنازع سابقتها المشرقية الصدارة والمصادقية. وهذه نماذج منها مصنفة حسب اللون واللحظة التاريخية.

4 - نماذج مجملة :

- «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابي عمر ابن عبد البر القرطبي (368-463 هـ).
- «جوامع السيرة» لابي محمد ابن حزم القرطبي (384-456 هـ)
- «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» لابي الفضل عياض اليحصبي (476-544 هـ).

- «الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء» لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي (565-634 هـ).
- «عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير» لابن سيد الناس اليعمرى (671-734 هـ).
- «كتاب المغازي» لعبد الرحمان بن عبد الله المعروف بابن حبيش (504-584 هـ).

5 - نماذج تفصيلية شارحة :

- «الروض الانف» لأبي القاسم عبد الرحمان السهيلي (508-581 هـ).
- «شرح السيرة النبوية» لابي ذر مصعب بن مسعود الخشنى (533-604 هـ).
- كتاب «تفسير مغازي الواقدي» لابي الوليد المهري.

6 - نماذج في الخصائص والمعجزات :

- «حجة الوداع» لابي محمد ابن حزم القرطبي.
- «الاحكام في معجزات النبي عليه السلام» لأبي الحسن الجياني.
- «الدرر البهية في معجزات خير البرية» لابي بكر بن أبي أفيلح.
- «سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب» لابي الخطاب ابن دحية.
- «شرح أسماء النبي ﷺ» أو المستوفى من أسماء المصطفى لابي الخطاب ابن دحية.
- «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات» لابن دحية.
- «الابتهاج في المعراج» لابي الخطاب ابن دحية.
- «نهاية السؤل في خصائص الرسول» لابي الخطاب ابن دحية.
- «ملاذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين» لابي الخطاب ابن دحية.
- «خلاصة الصفا من خصائص المصطفى» لاحمد بن ميمون الاشعري.

7 - مولديات ومدائح وتصليات⁽¹⁰⁾

- كتاب «التنوير في مولد السراج المنير» لأبي الخطاب ابن دحية.

(10) حفلت كتب التراجم الاندلسية كنفع الطيب، والحلة السراء والصلوة، والاحاطة، وغيرها بعدد وافر من المدائح الاندلسية النبوية المفردة إضافة الى المجموع والمدونات المختصة المخطوطة منها والمطبوعة كمدونات السخاوي، ومحمد الفاسي الفهري، ومرتضى الزبيدي، ويوسف النبهاني...

أما عن فن التصلية فقد أحصى الاستاذ الباحثة محمد المنوي سبعة تأليف أندلسية تنضوي فيه، وهي المثبتة بدءا من كتاب الاعلام للفرنطاطي النعمري : رمز *** كما أحصى تسعة عشر مؤلفا لاعلام من تونس والجزائر والسودان الغربي. و36 مؤلفا مغربا صدرها بأقدم تصلية مغربية وهي الصلاة المشيشية للمولى عبد السلام بن مشيش الحسني العلمي (ت 656 هـ). تنظر مقالته القيمة : مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية دعوة الحق : عدد 4/1977. ص : 20.

- «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» لابي العباس أحمد بن محمد العزفي اللخمي (ت 633 هـ) وأكمله ابنه أبو القاسم.
- أرجوزة «نظم الدرر ونثر الزهر» لابي الوليد بن أبي أفيلح (المتقدم).
- «بشرى اللبيب في ذكرى الحبيب» لابن سيد الناس اليعمري (ت 671 هـ).
- «دالية» أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن فتح (ت 583 هـ).
- «ديوان الوسائل المتقبلة» لابي زيد عبد الرحمان بن أبي سعيد ابن يخلفتن الفازازي الاندلسي.
- «تخميس الوسائل المتقبلة» للشيخ الامام أبي بكر ابن المهيب.
- قصيدة في مدح الرسول ﷺ مصوغة على التورية بسور القرآن الكريم لمحمد ابن أحمد بن علي الهواري المعروف بابن جابر الاندلسي.
- كتاب «الاعلام بفضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام» لابي علي محمد بن عبد الرحمان الغرناطي النميري (ت 544 هـ).
- «أنوار الآثار المختصة بفضل الصلاة على النبي المختار» لابن الافليشي أحمد بن معد بن عيسى التجيبي (ت 550 هـ).
- «كتاب النزهة» لابن البقري علي بن محمد بن إبراهيم الفازازي الغرناطي (ت 552 هـ).
- كتاب «القربة الى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين» لابن بشكوال خلف بن عبد الملك الانصاري القرطبي (ت 578 هـ).
- «الصلاة والاعتصام في كيفية الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام» لجبر بن جبر القرطبي (ت 651 هـ).

إضاءة لمنهج الامام السهيلي في الروض الانف

المستوى الوصفي :

1 - حول العنوان :

نسجل اختلافات شكلية في اسم الكتاب، فقد قدمه أبو الخطاب ابن دحية (ت 633 هـ) تلميذ السهيلي قائلاً : «وتصانيف كثيرة، فمذهبتها «كتاب الروض الأنف والمشرع الروي في تفسير ما اشتمل عليه حديث رسول الله ﷺ

وروي»⁽¹¹⁾، في حين ذكره ابن الخطيب باسم «الروض الانف والمنهل الروي في ذكر من حدث عن رسول الله ﷺ وروى»⁽¹²⁾ وقدمه كارل بروكلمان باسم «الروض الانف الباسم»⁽¹³⁾، وحاجي خليفة باسم «الروض الانف في شرح غريب السير»⁽¹⁴⁾ وابن العماد باسم «الروض الانف في شرح سيرة ابن هشام»⁽¹⁵⁾ ويبدو أن هذا الاختلاف ناتج عن أصله المخطوط كما سنرى، وهذا بدوره ناتج عن كثرة الاستنساخ، والتداول. وإذا كنا نرجح تسمية ابن دحية الذي صحح المؤلف بين يدي أستاذه السهيلي، فإننا نؤكد شهرة الكتاب باسم «الروض الانف» مجردا حتى عند المتقدمين⁽¹⁶⁾.

2 - أصول «الروض» المخطوطة :

نتيجة الموقع العلمي المتميز الذي احتله الكتاب تعددت أصوله المخطوطة، وتوزعت في الخزائن العامة والخاصة. وهذا كشف لأبرزها :

- النسخة الأم⁽¹⁷⁾ وتحمل اسم : «الروض الانف» في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، مهذب سيرة ابن اسحاق : عاينها الأستاذ المحقق المرحوم محمد عابد الفاسي بخزانة القرويين بفاس ووثقها قائلا : في جزئين، يوجد بظهر أول ورقة من السفر الاول، تملك الامام ابن مرزوق بخطه المعهود المرونق. فاتحته : حمدا لله مقدم على كل أمر ذي بال، وذكره حري الا يفارق الخلد والبال.

بخط أندلسي متقن، وقع الفراغ من نسخه كما بآخره في ربيع الاول الذي من سنة (586 هـ) فبين تاريخ إتمام نسخه، وبين تاريخ وفاة مؤلفه رحمه الله سنوات خمس. وعقب تاريخ النسخ يوجد هذا البيت بخط الناسخ :

(11) المطرب لابن دحية ص : 263.

(12) الاحاطة ج 3 ص : 477.

(13) تاريخ الادب العربي. ترجمة عبد الحليم النجار : ج 3. ص : 13.

(14) كشف الظنون ج 1 عمود 917.

(15) شذرات الذهب ج 7 ص : 206-207.

(16) المطرب ص 232 حيث ذكره مجردا فقال : «وصحح الروض الانف بين يديه» وبرناج الرعيني ص : 52 -

60 - 142.

(17) اختيار هذا النعت ناتج عن الاعتقاد بكونها الاقدم، رغم أنها ليست نسخة المؤلف.

أيها القارئ استغفر لمن كتب فقد كفت يده النسخ والتعب

إلا أن تلاشي الأوراق في الجملة، حال بينه وبين كمال جماله، ومع ذلك فهو ما يزال يقرأ بوضوح، ويصلح للتحقيق والتصحيح... وآخر هذا السفر : اجتماع قريش للتشاور في أمور النبي ﷺ به خرق سوس، وإصلاح قديم. أوراقه 144 - مسطرته : 27 - مقياسه : 20/27.

الثاني : بخط مشرقى واضح عار عن تاريخ النسخ أوله : «أذن الله تعالى لنبيه بالهجرة...» ويغلب على الظن أنه لليزيد بن محمد بن عبد الله، والله أعلم - فيحقق به - يتخلل أوراقه صفر. أوراقه : 176 - مسطرته : 25 - مقياسه : 20/27⁽¹⁸⁾.

- نسخة ثانية بخزانة القرويين : تحت عنوان : «الروض الانف في شرح سيرة ابن هشام» وصفها الاستاذ محمد عابد الفاسي : «سفر ضخمة بخط أندلسي جيد في أصله، تعدد البتر في أوراقه، مع تلاش وتمزق، ضاع من أوله نحو الورقتين، وبآخره بتر كذلك... يعتبر هذا السفر رغما عن الحرم الواقع فيه مستندا قيما للتحقيق والتصحيح. أوراقه : 20/26/19/184»⁽¹⁹⁾.

- نسخة بالخزانة العامة بالرباط. مبتورة الآخر، خط مشرقى، متنوع، مستحسن. خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ. رقمها : 267.
- نسخة بالخزانة الحسنية : رقمها : 8261.

- نسخة بمكتبة طوب قابي سراي باستانبول تحت عنوان «الروض الانف في شرح غريب السير» قال موثقها د. فاضل مهدي بيات : «وهو الجزء الاول من شروحه للقصائد (هكذا) الواردة في سيرة ابن هشام) نسخت حوالي سنة (600 هـ 1204 م) 213 ورقة، 24 × 16,5 سم، ع س 25 - ط س 11,5 م رقمها : 2900. 599»⁽²⁰⁾.

(18) فهرس مخطوطات القرويين لمحمد عابد الفاسي، ج 2، ص : 225-226. الرقم الترتيبي : 220 / الطبعة الأولى : 1980/1400 البيضاء.

(19) نفس المرجع : الجزء الثاني. ص : 449-500 الرقم الترتيبي 829.

(20) (21) (22) (23) مجلة المورد (ترائية فصلية تصدرها وزارة الاعلام العراقية) المجلد الرابع- العدد الرابع 1975-1975. ص : 274-275 مقالة المخطوطات العربية في مكتبة طوب قابي سراي باستانبول. ترجمة واعداد الدكتور فاضل مهدي بيات.

- نسخة بنفس المكتبة الآنفة، بخط عبد الحميد بن الحسين بن عتيق سنة (619 هـ 1222 م) 180 ورقة - 25 × 18 سم. ع س 25 - ط س 12 سم رقمها 4449. 6000⁽²¹⁾.

- نسخة بنفس المكتبة تحت عنوان : «الروض الانف الباسم» يرجح أنها نسخت في القرن 7 هـ/13 م 236 ورقة - ع س 29 - ط س 13,5 سم 27,5 × 18 سم رقمها : 5998.602⁽²²⁾.

- نسخة بنفس المكتبة تضم جزئين بخط عامر بن محمد سنة (1053 هـ 1643 م) - 266 ورقة. 30,5 × 21 سم - ع س 32. ط س 13,5 سم⁽²³⁾.

- نسخة بالمكتبة الوطنية باستانبول خزانة فيض الله أفندي تحت عنوان روض (هكذا) الانف بتاريخ : 728 هـ. 127×188/ 25/380. رقمها : 1457⁽²⁴⁾.

3 - طبعاته :

يبدو أن أول طبعة للروض الانف كانت سنة (1332 هـ/1914 م) بمطبعة الجمالية المصرية، وهي نسخة صحيحة، مقابلة على أصول عدة، وتقع في جزأين ضخمين، يقع أولهما في 290 صفحة، وثانيهما في 374 صفحة، وبهامشها سيرة ابن هشام، وهي الطبعة التي اعتمدها الدكتور محمد ابراهيم البنا مصدرا من مصادر تحقيقه لأمالى السهيلي، ونسجل تنصيضا هاما للناشر المصحح «... جميع الجمل التي بين هاتين [] الدائرتين من نسخة ثانية غير الاصل المطبوع منه، فليتنبه»⁽²⁵⁾ وهذه الجمل هي التي مدح بها السهيلي الموحدون ويعلق الاستاذ رضا عبد الجليل الطيار : «فلعلها حذفت من ذلك الاصل المعتمد للطبع في فترة متأخرة، أو لعل السهيلي أضاف تلك العبارات الى مقدمة كتابه بعد تأليفه إياه في سنة 569 هـ وذلك فيما إذا استرشدنا بما نقله تلميذه ابن دحية في المطرب : ص 233»⁽²⁶⁾.

(24) مجلة المورد - المجلد الثامن - العدد الأول - 1979/1399 (أصدرته وزارة الثقافة والفنون بالعراق - دار الجاحظ) مقالة : المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية باستانبول - خزانة فيض الله أفندي - 2 - بقلم حميد هدو. ص : 310.

(25) الروض الانف / ج - 1/2 هامش 1 : المطبعة الجمالية. 1914 وتعرف النسخة بالحفيظية، والراجع أنها اعتمدت مخطوطة صحيحة للسلطان مولاي عبد الحفيظ.

(26) الدراسات اللغوية في الاندلس - ص : 156 - هامش 4. (سلسلة دراسات : 227) منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية.

وهناك طبعة ثانية تقع في مجلدين اثنين، وأربعة أجزاء، وهي مزوجة أيضا بسيرة ابن هشام قدم لها، وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف⁽²⁷⁾. وطبعها دار الفكر - بيروت : 1972. وهناك طبعة أخرى لنفس النسخة تقع في أربعة مجلدات متفرقة. وهي الذائعة بكثرة في سوق الكتب وهناك طبعة رابعة ذكر ناشرها «أنها طبعة جديدة، مضبوطة، منقحة روجعت على عدد من الطباعات القديمة، وعلى نسخة قدوة الامراء وحجة العلماء مولانا عبد الحفيظ، سلطان المغرب لأقصى سابقا» وقد تكون طبعات أخرى ذات صبغة تجارية. تستغل صيت المؤلف، وشهرته في الحقل السيري.

أما الطبعة التي تثير اهتمام الباحث، فتقع في سبعة مجلدات⁽²⁸⁾ حققها المرحوم الاستاذ عبد الرحمان الوكيل، وقد مزجها - كعادة سابقه - بنص ابن هشام، ومن مميزاتها الإيجابية : (1) تحرير المتن مما علق به من أخطاء طال عليها الامل، لم يجشم (المصححون) و (الضابطون) أنفسهم تعب تعقبها، وتقويمها. (2) شكل وضبط الاشعار المكثفة في النص، والذي تتميز أكثرها بالايقال اللغوي الجاهلي. (3) تحقيق بعض النصوص المشككة في أصولها الموظفة من قبل السهيلي. (4) إخراجها الشكلي الفني الذي لم تحظ بمثله قبلا. ومن سلبياتها : (1) عدم اعتماد الوكيل أي نص مخطوط - مع وجود نماذج في الشرق - ناهيك بالمخطوطة «الام» التي تحتضنها خزانة القرويين بفاس تحت رقم : 210 والراجع أن الوكيل اعتمد في أحسن الاحوال النسخة الحفيفية المطبوعة بالجمالية بمصر سنة 1914. وإن كانت بصمات نسخة طه عبد الرؤوف، بارزة لتمائل العناوين العامة، والتفصيلية. (2) عدم الاماع - في الاغلب - إلى أعلام النص وعدم الاحالة على مظان تراجعهم. (3) تكديس الهوامش بطائفة من المعلومات المفيدة التي تسقط أحيانا في شرك العموميات والذاتيات. (4) عدم تذييل النسخة بالفهارس العلمية التي تساعد في عملية البحث، والقراءة العلمية ويمكن تدارك هذه السلبية، ان تطوع لها أحد الباحثين⁽²⁹⁾.

(27) أظن أن الاستاذ طه عبد الرؤوف غلا، وبالغ، حين أوهم نفسه، والقراء، بأنه قدم، وعلق، وضبط. والواقع أنه قصر في هذه الامانات الثلاث.

(28) طبعت ونشرت بين سنتي 1967 و 1970 - دار النصر للطباعة - القاهرة.

(29) يقول الاستاذ عبد العزيز الرفاعي عن مجهود محققها : «... وقد خدم جزاه الله بهوامشه وتحقيقاته، ولكن هذا الكتاب الجميل يحتاج في نظري إلى مزيد من العناية، كما يحتاج إلى الفهارس الفنية التي تقرب مادته الغزيرة إلى

4 - مختصرات وحواشي على الروض الانف

استأثر «الروض الانف» باهتمام علماء السيرة وفقهائها، فوضعوا له مختصرات وحواشي، كما تعقبوا اشاراته، واستنتاجاته بالتقييم والتحليل، مما أفرز تراكماً معرفياً يضاعف بكثير حجم ووزن الكتاب. وإنه ليصعب تقصي المصادر التي اعتمدت الروض، واستشهدت بأرائه. ذلك أن أي كتاب سيري بعده لا يخلو من إلماعات، وإحالات عليه.

وسنكتفي برصد مختصراته وحواشيه التي وقفنا عليها.

- بلبل الروض للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة 748 هـ⁽³⁰⁾.
- الزهر الباسم في سيرة أبي قاسم وهي حاشية على الروض، لمغلطاي ابن قليح المتوفى سنة 752 هـ وتوجد منها نسخة بليدن تحت رمز أول 864⁽³¹⁾.
- اقتطاف الاكف من الروض الانف لأحمد بن علوان التونسي الشهير بالمصري المتوفى سنة 787 هـ⁽³²⁾.
- نور الروض مختصر لعز الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة المتوفى سنة 819 هـ⁽³³⁾.
- زهر الروض : مختصر لشمس الدين محمد بن أحمد الكفيري الدمشقي المتوفى سنة 831 هـ⁽³⁴⁾.

الباحثين في سيرة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام - تنظر مقالة : «على حواشي الروض» المجلة العربية (معربية) عدد : 116 ماي 1987 - ص : 20-21.

ويقول الاستاذ عبد الجليل الطيار عنها : «وهي طبعة خالية من الفهارس العلمية، وقد تضخمت بفوائد ومراجعات عديدة في الهوامش، معظمها مجرد تكديس للمعلومات» تنظر : الدراسات اللغوية في الاندلس ص : 155- الاحالة : 8. وقد أشار الاستاذ محمد ابراهيم البنا في «نتائج الفكر» ص : 5 المقدمة إلى عزمه على تحقيق الروض الانف، واعتبر تحقيقه لجملة من أعمال السهيلي مجرد مقدمة لهذا الهدف. فهل شرع ؟ وعلى أي فإني أستغرب لعدم اعتماده على طبعة الوكيل في تحقيقاته لأعمال السهيلي.

(30) الوافي بالوفيات للصفدي - بعناية هلموت ريتز، طبعة طهران ج 1- ص 7.
(31) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج 3/ص : 421. وقد وقف عليها أستاذنا الدكتور التهامي الراجحي بليدن وله نسخة مصورة لها.

(32) الاعلام لعباس بن ابراهيم : ج 8 - ص 81.

(33) كشف الظنون : ج 1- عمود 917. والرسالة المستطرفة للكثاني ص 81. الطبعة الثانية والإعلام لعباس بن ابراهيم. ج 8. ص : 61.

(34) شذرات الذهب : ج 7. ص 196. والاعلام لعباس ج 8 ص 81.

– مختصر للقاضي تقي الدين يحيى بن محمد بن يوسف الكرمانى البغدادي المتوفى سنة 837 هـ⁽³⁵⁾.

– حاشية لقاضي القضاة يحيى المناوي المتوفى سنة 871 هـ⁽³⁶⁾.

– تجريد لحاشية الروض المذكورة لسبط المناوي زين العابدين ابن عبد الرؤوف المتوفى سنة 1022 هـ⁽³⁷⁾.

– مختصر الروض لمحمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني المتوفى سنة 895 هـ قال عنه الحضيكي «لم يتم»⁽³⁸⁾.

ب – تطبيقات على منهج السهيلي في «الروض الانف»

1 – السهيلي يحدد منهجه :

حدد السهيلي منهجه في المقدمة البليغة المسجوعة للروض الانف فقال :

«وبعد : فإني قد انتحيت في هذا الاملاء بعد استخارة ذي الطول والاستعانة بمن له القدرة والحول الى ايضاح ما وقع في سيرة رسول الله ﷺ التي سبق الى تأليفها أبو بكر محمد ابن اسحاق المطلبي⁽³⁹⁾، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري المصري النسابة النحوي⁽⁴⁰⁾ بما بلغني علمه، ويسر لي فهمه، من لفظ غريب، أو اعراب غامض، أو كلام مستغلق، أو نسب عويص، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل الى تتمته».

وبنبرة أخلاقية متواضعة يضيف : «مع الاعتراف بكلول الحد، عن مبلغ

(35) كشف الظنون : ج 1 - ص 196. والاعلام لعباس ج 8 ص : 81.

(36) نفس المصدرين وجزئهما وصفحتيهما.

(37) مناقب الحضيكي : ج 1 - ص : 231. ط/1 - 1355 هـ. الدار البيضاء.

(38) شذرات الذهب : ج 206/1 - 207.

(39) أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي ولاء. علم نحوي وسري، بارز، وثقه البخاري ومسلم، وتحفظ مالك، اهتم بالقدرة له. كتاب المغازي. ينظر : تذكرة الحفاظ : الجزء 1. ص : 171-172، الروض الانف : 1/ المقدمة.

(40) عبد الملك بن هشام الحميري المعافري المصري، البصري أصلاً، كان عالماً بالانساب، واللغة وأخبار العرب، اشتهر من كتبه : «السيرة النبوية»، و«القصائد الحميرية في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية»، و«التيحان في ملوك حمير» و«شرح ما وقع في السير من الغريب»، ينظر : وفيات الاعيان 290/1. الروض الانف : 1/ المقدمة. الاعلام للزركلي : 166/4.

ذلك الحد⁽⁴¹⁾ ولكن لا ينبغي أن يدع الجحش من هذه الأعيار⁽⁴²⁾، ومن سافرت في العلم همته، فلا يلق عصا التسيار) ومع ذلك يتهيب هذا المشروع، لانه يشكل عنده سابقة، محفوفة بكثير من المزالق :

(... حين شرعت في املاء هذا الكتاب، خيل الي أن المرام عسير، فجعلت أخطو خطوة الحسير وأنهض نهض البرق الكسير، وقلت، كيف أرد مشرعا لم يسبقني إليه فارط⁽⁴³⁾ وأسلك سبيلا لم توطأ قبلي بحف، ولا حافر...).

ومع ذلك غامر، خاصة وقد سنع له خاطر : (أن هذا الكتاب سيرد الحضرة العلية، المقدسة الامامية، وأن الامامة ستلحظه بعين القبول وأنه سيكتب للخزانة المباركة عمره الله بحفظه وكلاءته، وأمد أمير المؤمنين بتأييده ورعايته)⁽⁴⁴⁾.

وهكذا تنداعى المخاوف، وتتوارى المعوقات «فتبجست لي بمن الله تعالى من المعاني الغريبة عيونها، وانثالت علي من الفوائد اللطيفة أبكارها وعونها، وطفقت عقائل الكلم يزدلفن الي بآيتهن أبدا، فأعرضت عن بعضها إثارا للإيجاز، ودفعت في صدور أكثرها خشية الاطالة والاملال»⁽⁴⁵⁾.

وتتحول المادة السيرية الى حقل غني بالمعارف التاريخية، والادبية، والفقهية،... يحكمها الإيجاز العلمي، ويطبّعها الاجتهاد الطريف، وبتعبير السهيلي : «... تحصل لي في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب»⁽⁴⁶⁾ وأسماء الرجال والانساب، ومن الفقه الباطن اللباب، وتعليل النحو وصنعة الاعراب، ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا⁽⁴⁷⁾ سوى ما أنتجه صدري،

(41) الحد الأول يعني : الاتحاد، والمحاددة × وهي هنا علمية بحتة، والحد الثاني : المنتهى، فيكون المعنى : الاعتراف بقصور نزعة المنافسة عن مطاولة ابن هشام في شرح سيرته، وهو توظيف طريف للجناس الكامل. (يستأنس باللسان : 140/3).

(42) هذه : سبقه، وغلبه، وكل غالب باذ (اللسان : 477/3) : العير : الحمار كان أهليا أو وحشيا. وقد غلب على الوحشي، والانشى : عيرة، والجمع أعيار، وعيار وعيور، وعيرة، وعيارات (اللسان : 620/4 : مادة عير).

(43) فارط المتقدم السابق : من فرط يفرط فروطا (اللسان : 366/7 : مادة فرط).

(44) مقدمة الروض الانف، ويلاحظ أن هذه الفقرة غائبة في مقدمة المخطوطة العتيقة بخزانة القرويين بفاس، تنظر تحت رقم 210.

(45) الروض الانف، ج 1. ص 35.

(46) نظرا لطرافة وأصالة موهبة السهيلي الادبية، فقد خصصت لها فصلا مستقلا تحت عنوان : (السهيلي أدبيا).

(47) قمت بعملية احصائية لها في مبحث (مصادر الروض الانف). وهي مصادر ذات أهمية خاصة تنظر : ص

ونفحه فكري، ونتجه نظري، ولقنته عن مشيختي، من نكت علمية لم أسبق إليها، ولم أرحم عليها»⁽⁴⁸⁾.

2- ضوابط في كشف المنهج :

سنحاول على أهم المعالم المنهجية لهذا المصنف القيم توسلا بالنصوص التطبيقية، واستشرافا للمقاصد الفكرية، والتجليات الوجدانية، وإفضاء الى بعض التقييمات النقدية.

وقد نص هذا المنهج على ثلاثة شروط تحيل على جانبيين أساسيين في فكر السهيلي وهي : 1 - التعليل الاعرابي⁽⁴⁹⁾. 2 - الاستنباط الفقهي⁽⁵⁰⁾. لذا رأينا ضرورة إضاءتهما من خلال «الروض الانف وغيره من نتاجات المؤلف، أما المعالم المنهجية الأخرى، فبحكم تماسها مع نصوص «الروض» فستضاء من خلاله فقط.

خاصية الاهتمام بالغريب اللغوي

أجمعت كتب الفهارس والطبقات التي ترجمت للسهيلي أو أضاءت فكره، على وصفه باللغوي والمتميم بالغريب، يصفه تلميذه ابن دحية : «... فترشف من ماء العربية أتى مزنه»⁽⁵¹⁾ وتوطأ من أكنافها كل سهله وحزنه»⁽⁵²⁾ ويصفه ابن الأبار بأنه «يغلب عليه علم العربية والغريب»⁽⁵³⁾ وينعته ابن العماد بأنه «برع في العربية، واللغات، والاختبار، والاثار»⁽⁵⁴⁾.

ويحيل المقرئ على مشيخة السهيلي اللغوي : «لازم القاضي أبا بكر ابن العربي، وابن الطراوة وعنه أخذ لسان العرب»⁽⁵⁵⁾ وحدد حاجي خليفة أهمية «الروض الانف» من خلال وصفه بـ : «الروض الانف في غريب السير»⁽⁵⁶⁾ وتتضح هذه اللازمة في اسم إحدى النسخ المخطوطة للكتاب وهو «الروض الانف في شرح غريب السير»⁽⁵⁷⁾.

(48) الروض الانف، ج 1 ص : 35.

(49) ينظر فصل (أضواء على النظرية النحوية عند السهيلي). ص/259.

(50) ينظر فصل (السهيلي فقيها). ص : 230.

(51) الأتي : النهر يسوقه الرجل إلى أرضه (اللسان : 15/14) المزن : السحاب عامة، وقيل : السحاب ذو الماء - واحده مزنه (اللسان : 406/13)، فيكون المعنى : ضلّاعته في اللغة، وتمكّنه منها، وإدراكه لاسرارها.

(52) المطرب : ص 232.

(53) التكملة : الترجمة 1316.

(54) شذرات الذهب : الجزء 4 ص 272.

(55) نفح الطيب : الجزء 4 ص : 369.

(56) كشف الظنون. الجزء الأول، ص : 917.

(57) رقم المخطوط : 5999 900 - مكتبة طوب قاني سراي باستانبول (المورد-المجلد : 4 العدد 4-1975).

على أن ميله إلى الغريب لم يكن محصوراً في فن السيرة، بل كان يتجاوزها إلى فنون أخرى قرآنية وأدبية صرفة، سواء في مجال التصنيف أو التدريس، يقول أبو الحسن الرعيني موضحاً مرويات شيخه أبي الحسن سهل بن الحاج أبي عبد الله محمد بن سهل بن مالك الأزدي عن أستاذه السهيلي «وجمع عليه السبع في سورة البقرة خاصة، وقرأ عليه الأشعار الستة والحماسة، وأكثر كتاب الإيضاح»⁽⁵⁸⁾.

ونسجل أن الدرس اللغوي يومئذ، كان يحتفل بظاهرة الغرابة، كنمط من أنماط التأصيل اللغوي وإشعاراً بالتحام المنطقة بجذورها العربية، وإضفاء لنوع من المصادقية التاريخية على الحس الجمالي الأندلسي الذي أبدع رقيق الأشعار، ونقح المعجم الفني من الإغراب على أننا حين نؤصل ظاهرة «الغريب» في الأندلس، نكتشفها متجذرة في القرن الثالث الهجري، مشدودة في الغلب - كأصولها المشرقية - إلى ما اصطلاح على اسمه بفن الغريبيين. أي غريب القرآن والحديث، ونسجل أحياناً استقلالية هذا الفن في المنظور الأندلسي، يقول ابن الفرضي في ترجمة عبد الرحمن بن موسى الهواري (ت 228 هـ)، (ولقي، وأخذ اللغة، والغريب، والشعر، والرواية عن الأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وغيرهما من أعلام الرواة)⁽⁵⁹⁾ ومن التطبيقات الأندلسية في هذا الفن⁽⁶⁰⁾.

- * «غريب الحديث» لابي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 239 هـ).
- * «غريب الحديث» لابي عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني (ت 286 هـ).
- * «شرح غريب الحديث ومعانيه» وهو المشهور بكتاب «الدلائل» لابي محمد قاسم بن ثابت السرقسطي (ت 302 هـ).
- * «اختصار في غريب القرآن من تفسير الطبري» لابي يحيى محمد بن صمادح (ت 419 هـ).

(58) برنامج شيوخ الرعيني ص : 60.

(59) تاريخ ابن الفرضي : 300/1.

(60) حفلت كتب البرامج، والطبقات الأندلسية، كفهرست ابن خير. وبرنامج الرعيني، وتكملة ابن الأبار، وصلة ابن بشكوال وصلة الصلة بن الزبير أقول : حفلت بالإشارة إلى هذه التصنيفات، إضافة - طبعاً - إلى الدراسات التي عنت بها تحقيقاً أو تحليلاً وتقييماً. ونحيل منها على الدراسات اللغوية في الأندلس للأستاذ رضا عبد الجليل الطيار، ورسالة الدكتور عبد العلي الودغيري : أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية. ودراسته : المعجم العربي في الأندلس.

- * «غريب القرآن» لابي محمد مكّي بن أبي طالب (ت 437 هـ).
- * «غريب القرآن» لابي محمد عبد الله بن خلف بن بقي القيسي (ت 540 هـ).
- * «الواعي في اللغة» لابي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي المعروف بابن الخراط (ت 581 هـ).
- * «تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب» لاثير الدين أبي حيان النحوي (ت 745 هـ).

وطبيعي أن نجد روافد معجمية أندلسية، تضيفي المصادقية اللغوية التاريخية علي تلك النماذج ومن أبرزها :

- * الكتاب البارع في اللغة لابي علي المقالي البغدادي (ت 356 هـ) وكان - حسب ابن خير - يقع في مائة وأربعة وستين جزءا، تنتظم في أربعة آلاف وأربعمائة وست وأربعين ورقة.
- * - مختصر «العين» لابي بكر الزبيدي (ت 379 هـ).

- كتابا المحكم والمختصص لابي الحسن بن سيدة المرسي (ت 458 هـ).
- * - الموعب لابي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني (ت 436 هـ)
- * - السماء والعالم لابي عبد الله محمد بن أبان بن سيد اللخمي (ت 354 هـ)
- * - المسلسل في غريب لغة العرب لابي ظاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي السرقسطي (ت 538 هـ).

وهكذا نلاحظ تحديث أبرز أساتذة السهيلي بطائفة من كتب الغريب. وتدريسها في حلقاتهم، فقد حدث أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح (ت 537 هـ) بكتاب «نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن» لابي بكر محمد بن عزيز السجستاني⁽⁶¹⁾، كما حدث أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكّي (ت 535 هـ) بكتاب «غريب القرآن» لجده المقرئ أبي محمد مكّي بن أبي طالب⁽⁶²⁾. كما حدث أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر الاشبيلي (ت 543 هـ) بكتاب «غريب القرآن» لابي محمد يحيى بن المبارك بن المضيرة العدوي⁽⁶³⁾، كما

(61) فهرست ابن خير : ص : 61.

(62) نفس المصدر : ص : 67.

(63) نفس المصدر : ص : 67.

حدث القاضي أبو بكر بن العربي المعافري (ت 543 هـ) بكتاب الغريين :
غريب القرآن، وغريب الحديث لابي عبيد أحمد بن محمد بن أبي عبيد الهروي⁽⁶⁴⁾.
وقد وظف الامام السهيلي في «الروض الانف» نماذج من كتب اللغة،
والغريب، تشكل مزيجا خاصا بين التراث اللغوي المشرقي، والاندرلسي ونذكر
منها: (65)

- * - كتاب الغريين : غريب القرآن، وغريب الحديث لابي عبيد أحمد بن محمد
بن أبي عبيد الهروي.
- * - شرح غريب الحديث لابي عبيدة معمر بن المثنى.
- * - كتاب الغوامض، والمهمات للحافظ عبد الغني بن سعيد.
- * - شرح غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام.
- * - غريب الحديث لابي سليمان محمد بن محمد الخطابي.
- * - غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري.
- * - كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.
- * - كتاب العين لابي عبد الله محمد بن سنجر.
- * - الجوهرة في اللغة لابي بكر محمد بن الحسين بن دريد.
- * - المحكم، والمحيط الاعظم - مرتب على حروف المعجم - لابن سيدة المرسى
الغرناطي.

وهذه بعض التوظيفات التي أنجزها السهيلي في حقل الاهتمام بالغريب

1 - مسألة التأصيل :

اعتبر الإمام التأصيل اللغوي شرطا أساسيا لمعرفة الدلالة الاصلية للكلمة،
وذلك بالاحتكام إلى التراث الجاهلي السليم باعتباره إسهادا توثيقيا على الطبيعة
البنائية، والدلالية للكلمة، ومن ثم حفل «الروض الانف» بالأشعار. والنصوص
الجاهلية الموظفة لتجلية دلالات النص السيري، على أنه المؤلف قد يحتج بشاعر
مولد شريطة إجماع فقهاء العربية عليه، والإشهاد له بشاعر جاهلي يقول :
(بأيدي الملائك) - وهو جمع ملك على غير لفظه - ولو جمعه على لفظه

(64) نفس المصدر : ص : 67.

(65) ينظر مبحث : مصادر : الروض الانف. ص : 217.

لقالوا : أملاك، ولكن الميم من ملك زائدة فيما زعموا، وأصله مألِك من الألوِك وهي الرسالة قال لبيد :

وغلام أرسلته أمه بألوك فبدلنا ما سأل

وقال الطائي :

من مبلغ الفتيان عني مألِكا أي متى يظلموا أنهدم

ويبرر استشهاده بأبي تمام : «... والطائي - وإن كان متولدا - فإنما يحتج به لتلقي أهل العربية له بالقبول، وإجماعهم على أنه لم يلحن⁽⁶⁶⁾».

2 - الاضائة الموجزة للفظ الغريب ثم استشهاد بنص آخر :

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر في يوم الخندق :

ترى الابدان فيها مسبغات على الابطال واليلب الحصينا⁽⁶⁷⁾

يشرح السهيلي لفظ : «اليلب» :

* - اليلب : الترسه، وقيل : الدرق، وقيل : بيضات، ودروع كانت تتخذ من جلود الابل، ويشهد لهذا قول حبيب : (يقصد أبا تمام)

هذه الاسنة والماذي قد كثرا فلا الصياصي لها قدر ولا اليلب

أي حاجة - بعد وجود الدروع الماذية - الى اليلب، وبعد الأسنة الى الصياصي وهي القرون، وكانت أسنتهم منها في الجاهلية⁽⁶⁸⁾.

3 - شرح اللفظ مع الاستشهاد له بقراءة قرآنية :

قال ابن اسحاق : «ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجر إلى الشام فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير، صب به الرسول ﷺ فيما يزعمون، فرق له⁽⁶⁹⁾».

- يشرح السهيلي فعل «صَبَّ» : «فصب رسول الله ﷺ بعمه، الصبابة :

(66) الروض الانف : ج 5 - ص : 410-411.

(67) سيرة ابن هشام بهامش الروض الانف : ج 6 - ص : 342.

(68) الروض الانف : ج 6 - ص : 366-367.

(69) سيرة ابن هشام - بهامش الروض الانف - ج 2 ص : 216.

رقة الشوق، يقال : صبيت - بكسر الباء - أصب، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ : «أصب اليهن وأكن من الجاهلين»⁽⁷⁰⁾.

4 - سياق رواية أخرى للفظ الغريب، وشرحه، والاستشهاد الشعري

له :

يقول متمماً شرح فعل «صب» : «... وفي غير رواية أبي بحر⁽⁷¹⁾ : ضبث به رسول الله ﷺ أي لزمه، قال الشاعر :

كأن فؤادي في يد ضبثت به محاذرة أن يقضب الجبل قاضيه⁽⁷²⁾

5 - شرحه اللفظ الغريب، وتقوية دلالاته، بلفظ آخر مجانس له دلالة

لا لفظاً

قال ابن هشام : «ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمان - وهو يومئذ مع المشركين - فقال : أين مالي يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمان :

لم يبق غير شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

فيما ذكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي⁽⁷³⁾.

يشرح السهيلي لفظي : الشكة، واليعبوب :

الشكة : السلاح، واليعبوب من الخيل : الشديد الجري، ويقال : الطوين والأول أصح لانه مأخوذ من عباب الماء، وهو شدة جريه، ويقال للجدول الكثير الماء، يعبوب وقد كان للنبي ﷺ فرس اسمه السكب - وهو من سكبت الماء - فهذا يقوي معنى اليعبوب⁽⁷⁴⁾.

(70) سورة يوسف الآية : 33 وينظر الروض الانف، الجزء الثاني ص : 220.

(71) سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي الاوسي، الاسدي، يكنى أبا بحر روي عن ابن عبد البر، والباجي، والعذري، وغيرهم، وصف بالضبط، وجودة التقييد، أشاد السهيلي بحاشيته على السيرة واعتمدها، (الذيل والتكملة : 225/1 - وفيات ابن قنفذ (ت 520 هـ).

(72) الروض الانف : ج 2 / ص : 221.

(73) سيرة ابن هشام - بهامش الروض : ج 5 ص : 146.

(74) الروض الانف : الجزء الخامس ص : 181.

6 - شرح اللفظ اعتباراً لضبطه الشكلي، ثم استناداً إلى تصحيح ابن العربي لنطقه، ثم اعتماداً على البكري، ثم اجتهاد السهيلي :
يقول ابن رواحة : (75)

أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جوح

يدلل السهيلي على موقع الغرابة في البيت، فيقول :
وفيه، أقامت ليلتين على معان

قال الشيخ أبو بحر - : «معان بضم الميم، وجدته في الأصلين». وأصلح علينا القاضي - رحمه الله - حين السماع : مَعَان بفتح الميم، وهو اسم موضع - وذكره البكري بضم الميم، وقال : وهو اسم جبل، والمعان أيضاً : حيث تحبس الخيل والركاب، ويجمع الناس، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر، أو من الماء المعين، فيكون وزنه فعلاً، ويجوز أن يكون من العون فيكون وزنه مفعلاً، وقد جنس المعري بهذه الكلمة فقال :

معان من أحبنا معان تحيب الصاهلات بها القيان (76)

7 - تجليته للتوظيف الدقيق للفظ، نقضاً للتوظيف المتداول. وهذا ما يمكن رسمه بالغريب المعنوي وهو من طرف السهيلي للغوية :

يقول ضابطا الفرق الدقيق، الطريف، بين الجيد والعنق : قوله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا﴾ (77) ولم يقل في عنقها، والمعروف ان يذكر العنق إذا ذكر الغل، أو الصفع، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ (78)، ويذكر الجيد إذا ذكر الحلي أو الحسن فإنما حسن هنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لأنها امرأة، والنساء تحلي أجيادهن، وأم جميل (79) لا حلي لها في الآخرة إلا الحبل

(75) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الانصاري الخزرجي، كان أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة شهد بدرًا وما بعدها واستشهد بمؤتة، من شعراء وكتاب الرسول ﷺ أدرجه ابن سلام في شعراء القرى العربية، وقال ببحقه : «ليس في طبقة التي ذكرنا أسود منه» ينظر : طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر - السفر الأول من ص : 139 إلى 231. طبعة المدني - القاهرة - وينظر الاصابة : الترجمة : 4676، ص : 306 والاعلام للزركلي : المجلد 4. ص : 86.

(76) الروض الانف : ج 3 - ص : 308-309.

(77) سورة المسد الآية : 5.

(78) سورة يس الآية : 8.

(79) أم جميل بنت حرب بن أمية عمة معاوية، وزوج أبي لهب، وأخت أبي سفيان، اسمها العوراء. (ينظر التعريف والاعلام، ص 146، ومفحمت الاقران، . ج 4. ص : 626-627.

المجعلول في عنقها، فلما أقيم لها ذلك، مقام الحلي، ذكر الجيد معه فتأمله فإنه معنى لطيف. ألا ترى الى قول الاعشى :⁽⁸⁰⁾

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد

ولم يقل عن عنق، وقول آخر : عبد الله بن عباس الرومي :

وأحسن من عقد الملية جيدها وأحسن من سربالها المتجرد⁽⁸¹⁾

ومن طريف ذلك أيضا تفريقه بين «الجميل» و «الحسن» و «المليح» : وصفت عائشة جويرة بقولها : «كانت امرأة حلوة ملاحه» قال السهيلي : «الملاح : أبلغ من المليح في كلام العرب... وأما معنى الملاحه فذهب قوم الى أنها من الملح، وهي البياض، تقول العرب : عنب ملاحى، والصحيح في معنى المليح : أنه مستعار من قولهم، طعام مليح إذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه، ولذلك إذا بالغوا في المدح قالوا : مليح قزيج، فمليح : من ملحت القدر، وقزيج : من قزحتها إذا طيبت نكهتها بالافاويه وهي الاقتراح ويدلك على بعد هذا المعنى من البياض قولهم في الاسود : مليح، وفي العينين إذا اشتد سوادهما وحسنهما كما جاء في تفسير قوله سبحانه : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾⁽⁸²⁾ : أنها ملاحه في العينين، وقال الاصمعي : الحسن في العينين، والجمال في الانف، والملاحه في الفم، وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها : إنك لجميل يا أبا صفوان، فقال : وكيف وليس عندي رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده ؟ ثم قال : عموده الطول وأنا ربعة، وبرنسه سواد الشعر، وأنا أشمط، ورداءه البياض وأنا ادم، ولكن قولي: إنك مليح ظريف، فعلمها أن الملاحه تكون من صفة الآدم، فهي إذن ليست من معنى البياض في شيء»⁽⁸³⁾.

(80) أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل الوائلي المعروف بالاعشى الاكبر من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، وسمي صناجة العرب لتغنيه بشعره، وقد عمي في آخر عمره، جمع بعض شعره في ديوان سمي : الصبح المنير في شعر أبي بصير. ينظر عنه، الشعر والشعراء، 263/1 - الترجمة 21 - تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر - ط/3 - 1977، والأغاني المجلد 9 ص : 3228، وطبقات فحول الشعراء السفر 1 - ص : 65 قراءة وشرح محمود محمد شاكر. طبعة القاهرة.

(81) الروض الانف، ج : 3. ص : 308-309.

(82) سورة طه الآية : 39.

(83) الروض الانف، ج : 6. ص : 430. ويتصل بهذا وقوفه الدقيق على أسماء متعددة للنخلة حسب مراحل عمرها (الروض الانف، ج : 3. ص : 84).

وعلى المستوى التطبيقي اهتم السهيلي اللغوي بأصل المفردات وتطور دلالاتها⁽⁸⁴⁾ فضلا عن تنبيهه الى الاضداد⁽⁸⁵⁾ والمشارك⁽⁸⁶⁾ والمترادف⁽⁸⁷⁾ والنحت⁽⁸⁸⁾ والقلب⁽⁸⁹⁾.

وعموما فإن إمامنا أصل المعاني اللغوية من خلال مضامنها الاصلية شعرا ونثرا ومأثورات، غير أنه خص اللغة القرآنية بميزات متفردة لا تخرجها عن أصولها العربية، ولكنها تحيل على خصوصياتها البيانية الاعجازية⁽⁹⁰⁾ وبذلك يتجاوز بلغة القرآن مستوى الاستدلال والاستشهاد الى مستوى التخصيص والفراة. ورديف ذلك اشتهاره بالاستشهاد الحديثي في القواعد والعلل النحوية ووقوفه على بعض خصائصه البلاغية والجمالية. وقد أفصح فعلا عن معاني كثيرة من الالفاظ الغريبة رجوعا الى الحديث النبوي الشريف اعتبارا لفصاحة الرسول وتخصيصه بمجموع الكلم⁽⁹¹⁾.

وقد اعتبر السهيلي اللحن اللغوي وصمة مزرية، لتأمل تعريفه هذا اللاذع بالجاحظ، وهو إمام لغوي شهير :

قال الجاحظ في قول مالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

أراد أن اللحن الذي هو الخطأ قد يستملح ويستطاب من الجارية الحديثة السن، وتخطئ الجاحظ في هذا التأويل، وأخبر بما قاله الحجاج ابن يوسف لامراته هند بنت أسماء بن خارجة حين لحت فأنكر عليها اللحن، فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

-
- (84) الروض الانف، ج : 5. ص : 406. (حول أصل لفظ «الشماطيط».)
(85) الروض الانف، ج : 1. ص : 421. (السبل : للحلال والحرام، وفي 441/6 : بيضة البلد : للمدح والذم.)
(86) الروض الانف، ج : 1. ص : 309 (حول معاني النعامة.)
(87) الروض الانف، ج : 1. ص : 292. (من أسماء الشمس) وج : 4. ص : 129 (أسماء الطويل من الرجال وج : 5. ص : 364. (مجموعة أفعال بمعنى «مات».)
(88) الروض الانف، ج : 3. ص : 376. (لفظ : ابدعوا : تفرقوا من دعر وهي كلمة منحوتة من أصلين : من البذر والدعر.)
(89) الروض الانف، ج : 2. ص : 129 (لفظ : ملكوم، وأن أصله : مملول.)
(90) أنظر على سبيل المثال تفرقه بين «لعل» و«عسى» و«ليت» في الاستعمال اللغوي القرآني : (الروض الانف 6. ص : 328.)
(91) ينظر الروض الانف، ج : 3. ص : 87. حيث وظف فقرة من حديث أم زرع للاستشهاد اللغوي.

وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج : لم يرد أخوك هذا، وإنما أراد اللحن الذي هو التورية والالغاز، فسكتت، فلما حدث الجاحظ بهذا الحديث قال : «لو كان بلغني هذا قبل أن أولف (كتاب البيان) ما قلت، فقليل له : أفلا تغيره ؟ فقال : كيف وقد سارت به البغال الشهب، وأنجد في البلاد وأغار ؟»⁽⁹²⁾

ونستنتج من هذا أن السهيلي لم يكن مجرد رمز من رموز الموسوعية اللغوية في زمانه، بل بواً نفسه مقعد اللغوي الناقد الذي لا يزن رجال اللغة بما اشتهر عنهم وذاع، ولكن يزنهم بمعايير دقيقة ولعله كان كذلك في أعين بعض معاصريه حكما مرموقا.⁽⁹³⁾

وهكذا اعترف لابي عبيدة بأنه «علامة بكلام العرب»⁽⁹⁴⁾ ولابن فارس بأنه «عمدة في اللغة» ولابن اسحاق بالفصاحة⁽⁹⁵⁾ رغم شهرته كسيري ومؤرخ، كما احتج بلغة أبي تمام الشعرية رغم كونه مولداً لأنه «لم يلحن قط»⁽⁹⁶⁾... وفي المقابل عرض بلغوين كبار كابن جني الذي «لم يصب المفصل في مسألة لغوية»⁽⁹⁷⁾ وسيبويه⁽⁹⁸⁾ وغيرهما من الاعلام. الا أنه كان أكثر تعريضا باين سيدة الغرناطي صاحب «المحكم» الذي وصف احدى «هفواته اللغوية» بأنها «هفوة لاتقال، وعثرة لا لعالها» وزاد : «وكم له من هذا إذا تكلم في النسب وغيره»⁽⁹⁹⁾

وعموما فإن الحس اللغوي عند الامام السهيلي كان نابضا بالحياة تدل على ذلك كثرة تنقيره في مضان اللغة، حتى إذا أعياه ذلك رجح الأكثر وجاهة

(92) الروض الانف، ج : 6. ص : 312.

(93) من هؤلاء الفقيه أبو اسحاق ابن قرقول الذي استفسره عن عدد من الاشكالات النحوية واللغوية. تنظر مسأله اللغوية في أمالي السهيلي : المسألة 11. ص : 60. المسألة 35. ص : 89. المسألة 63. ص : 110. المسألة 73. ص : 128-129. والمسألة 74. ص : 129.

(94) الروض الانف، ج : 6. ص : 567.

(95) الروض الانف، ج : 5. ص : 68. يقول (وإنما أعجبتني فصاحة ابن اسحاق في قوله (بقية شهر كذا وشهر كذا وجمادين ورجبا وشعبا، ونزل الالفاظ منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها).

(96) الروض الانف، ج : 3. ص : 125.

(97) الروض الانف، ج : 4. ص : 389.

(98) الروض الانف، ج : 6. ص : 312.

(99) الروض الانف، ج : 5. ص : 357.

عنده، وأعمل القياس على لفظ من جنس المهم يقول : «وقد أكثر، التنكير عن «الحسى في مظانه من اللغة فلم أجد نصا شافيا أكثر من قول أبي علي : «الحسية، والحسى : ما يحسى من الطعام «وإذا قد وجدنا «الغذى» واحد غذاء الغنم فالحسى في معناه غير ممتنع أن يقال والله أعلم»⁽¹⁰⁰⁾ لكنه إذا وجد ضالته تباهى وازدهى كعادته، وأقل ما يقول : «وهذا استقراء من اللغة صحيح، واستنباط من الحديث بديع، فقف عليه»⁽¹⁰¹⁾.

فك المستغلق من الكلام في «الروض الانف»

توطئة

من أبرز الملامح المنهجية الراسخة في «الروض الانف» تعقب السهيلي لما سماه «الكلام المستغلق» بغية تحديد مظاهر استغلاقه، ثم فك ذلك عن طريق الايضاح، والابانة، حتى يتحول الابهام والغموض إنبلاجا وإشرانا. يقول الامام : «وبعد، إني انتحيت في هذا الإملاء - بعد استخارة ذي الطول والاستعانة بمن له القدرة والحول - إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله ﷺ التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحاق المطلبي، ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري المصري النسابة النحوي، بما بلغني علمه، ويسر لي فهمه، من لفظ غريب أو إعراب غامض، أو كلام مستغلق، أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته...»⁽¹⁰²⁾.

ويصطبغ هذا المقصد بصبغة الشمولية، إذ يستهدف النصوص النثرية وهي المادة الكثيفة في نص السيرة، وأيضا النصوص الشعرية المرتبطة بها. يقول :

«وغرضنا في شرح هذه الاشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح ما استغلق لفظه جدا، أو غمض اعرابه على شرطنا في أول الكتاب»⁽¹⁰³⁾. وقد يلتبس هذا الشرط المنهجي بآخرين أساسيين وهما : تتميم الخبر الناقص، وإيضاح الغريب اللغوي.

(100) الروض الانف : ج : 6. ص : 235.

(101) الروض الانف : ج : 6 ص : 86.

(102) الروض الانف : ج : 1 المقدمة.

(103) الروض الانف : ج : 5 ص : 73.

والواقع أن الالتباس شكلي الى حد ما، لأن تتميم الخبر عنصر قائم بذاته، لا تكتمل بنية النص الدلالية إلا به، في حين أن فك المستغلق لا يعتمد أساسا على ملء فجوة قائمة، وإنما يتوخى إيضاح النص في ذاته، أو موازنته بغيره، أو الاستهداء بوسائط معرفية أخرى.

على أن اشتباهه بإيضاح الغريب لا ينفي كون الاستغلاق لغويا وتلمح الى هذا عبارة الإمام : «استغلق لفظه جدا» إلا أنه في هذه الحالة يلحق بخانة تفسير الغريب، لأن البحث في الاستغلاق يتجاوز البحث في غرابة اللفظ إلى الكشف عن كافة ضروب الانحسار في الفهم، والتعتم في الرؤيا، وهي ملاحقة تستهدف مستويات البنية النصية نحوا وبلاغة ولغة وفقها... مما يفيد أن الاستغلاق اللفظي أكثر امتدادا، وفاعلية من العنصرين المذكورين، ووصفه باللفظية ليس إلا رمزا لقضية اللفظ في الكلام، ومن ثم يكون المصعب الذي يتفاعل فيه عنصرا التتميم، وإيضاح الغريب، مع عاصر المنهج الأخرى.

وسنحاول - من خلال التطبيقات التالية - بيان أبرز مستويات هذا الشرط المنهجي، مع محاولة اكتشاف طبيعة الادوات المعرفية التي ينطلق منها :

1 - القراءات القرآنية طريق الى فك الاستغلاق :

اعتبر السهيلي - وهو أستاذ مقرئ - تباين القراءات الموثقة عنصرا فاعلا في حل بعض مستغلاقات النص القرآني، كما اعتبر النص القرآني المفصل طريقا الى ايضاح مستغلق النص الجمل وهذا من خصائص منهج التفسير بالمأثور، يقول معقبا على ما أورده ابن اسحاق في قصة أبي لهب : «ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : «تبا لكما، لا أرى فيكما شيئا لما يقول محمد «فأنزل الله تعالى : ﴿تَبَّتْ﴾ هذا الذي ذكره ابن اسحاق يشبه أن يكون سببا لذكر الله سبحانه «يديه» حيث يقول : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾⁽¹⁰⁴⁾ وأما قوله : ﴿وَتَبَّتْ﴾ : فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد، وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁽¹⁰⁵⁾ خرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا، فصعد عليه فهتف : يا صباحاه فلما اجتمعوا اليه قال : «أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي ؟» قالوا : ما جربنا

(104) سورة المسد الآية : 1.

(105) سورة الشعراء الآية : 214.

عليك كذبا. قال : فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب :
 تبا لك ألهذا جمعنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقد تَبَّ ﴾ هكذا
 قرأ مجاهد والاعمش⁽¹⁰⁶⁾ وهي - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود،
 لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير قال مجاهد : لو كنت
 قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير
 لما سألته، وكذلك زيادة «قد» في هذه الآية فسرت أنه خبر من الله تعالى، وأن
 الكلام ليس على جهة الدعاء، كما قال الله تعالى : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى
 يُؤْفَكُونَ ﴾⁽¹⁰⁷⁾ أي : إنهم أهل أن يقال لهم هذا، فثبت يدا أبي لهب ليس من
 باب : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ ﴾، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله، واليدان آلة
 الكسب، وأهله وماله مما كسب، فقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ تفسيره :
 قوله : ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ وولد الرجل من كسبه، كما جاء في
 الحديث⁽¹⁰⁸⁾ أي خسرت يداه هذا الذي كسبت. وقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ تفسيره :
 ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي : قد خسر نفسه بدخوله النار. وقول أبي لهب :
 تبا لكما، ما أرى فيكما شيئا - يعني يديه - سبب لنزول : «تبت» كما
 تقدم⁽¹⁰⁹⁾.

* - نسجل هنا ملاحظتين :

أولا : تفتن السهيلي الى حكمة موضوعية أصيلة وراء تباين القراءات،
 تضاف الى حكمة التيسير والتوسعة على الامة الاسلامية وهي فك غوامض
 الآيات ومستغلقاتها، ومن ثم تصبح وظيفتها تفسيرية تحليلية خاصة وأن «كل قراءة
 وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح
 سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل انكارها بل هي
 من الاحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت
 عن الائمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الائمة المقبولين...»⁽¹¹⁰⁾.

(106) نسبها الشوكاني في «فتح القدير» ج 5. ص : 511 طبعة بيروت إلى ابن مسعود بصيغة الجزم، في حين نسبها
 القرطبي في «جامع أحكام القرآن» ج/20. ص : 236. طبعة/2. بيروت إلى عبد الله، وأبي.

(107) سورة التوبة الآية : 30.

(108) مسندا الامام أحمد : 173/6 وفي ص : 203 زيادة : (فكلوا من أموالهم هنيئا).

(109) الروض الانف : ج/3 ص : 297.

(110) مقتطف من تعريف الامام الداني لفن القراءات ينظر «التعريف» له الفصل الرابع. ص : 70 من المقدمة لحققة

أستاذنا الدكتور التهامي الراحي الهاشمي، ط/1. فضالة. 1403-1982.

ثانيا : اعتباره مقررات النص القرآني ظاهرة صحية، وقد وظفت صفة التكرار هنا تجاوزا فقط، لأنها - عند جمعها - تكون وحدة تركيبية منسجمة، يكمل بعضها البعض، ومن ثم كان هذا التكميل مسعفا في إيضاح الغامض، والمبهم، والمستغلق. وهو أليق بفهم النص لانه منبثق منه، بل ان الاجتهاد الموضوعي لا يكون إلا بوحى منه⁽¹¹¹⁾.

2 - علم التعبير أصل في فك المستغلق

مما يثير الانتباه توظيف السهيلي لتعليلات علم التعبير في فك غوامض معينة، وسنختار من التطبيق الثاني ثلاث صور نعلق عليها لاحقا. يقول أبو القاسم مستدركا على ابن هشام في حادث الاسراء : «ومما سئل عنه من حديث الاسراء، وتكلم فيه لقاؤه لآدم في السماء الدنيا، ولابراهيم في السماء السابعة، وغيرهما من الانبياء الذين لقيهم دون غيرهم، وإن كان رأي الانبياء كلهم فما الحكمة في اختصاص هؤلاء الانبياء بالذكر ؟ تكلم أبو الحسن ابن بطال في شرح البخاري على هذا السؤال فلم يصنع شيئا، ومغزى كلامه الذي أشار اليه أن الانبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم، فمنهم من أسرع ومنهم من أبطأ، إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه.

والذي أقول في هذا : إن مأخذ فهمه من علم التعبير، فإنه من علم النبوة، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبيا بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الانبياء في القرآن والحديث⁽¹¹²⁾ الاسراء كان بمكة - وهي حرم الله وأمنه، وقطانها جيران الله لأن فيها بيته، فأول من رأى عليه من الانبياء آدم الذي كان في أمن الله وجواره، فأخرجه عدوه إبليس منها، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي ﷺ حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته، فكربه ذلك وغمه، وأشبهت قصته في هذا قصة آدم، مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته :

(111) تنظر أطروحة الدكتور محمد محمود حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : مبحث : حتمية التكرار للموضوع الواحد ليتحقق المنهج الموضوعي للقرآن الكريم في أداء رسالته. ص : 36 وما بعدها طبعة القاهرة 1970.

(112) هناك مقاربات تتم عن نفس الدلالات تنظر في «منتخب الكلام في تفسير الاحلام» لابن سيرين. ج/1 ص : 22-27. (الباب الثاني في رؤيا الانبياء والمرسلين عموما ورؤيا محمد ﷺ خصوصا، وبهامشه تعطير الانام في تعبير المنام للشيخ عبد الغني النابلسي وفيه ينظر (باب النون) مادة : نبي. ج/2 ص : 286-289. ج/2 ص : 286-289. مطبعة مصر غير مؤرخة.

البر والفاجر منه، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين، لان أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء، ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى⁽¹¹³⁾ وبعد تعليله لقاء الرسول ﷺ عيسى ويحيى في السماء الثانية يقول : «... وأما لقائه ليوسف في السماء الثالثة : فإنه يؤذن بحالة ثلاثة تشبه حال يوسف، وذلك بأن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصطح عنهم وقال : ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾⁽¹¹⁴⁾ الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه، فيهم عمه العباس، وابن عمه عقيل، فمنهم من أطلق، ومنهم من قبل فداء، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم : أقول ما قال أخي يوسف : ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ وبعد تعليله حضور أنبياء الله : إدريس في السماء الرابع، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، يختم هذه التعليقات بالصورة الآتية :

«... ثم لقائه في السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام لحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه - والبيت المعمور حيال مكة، وإليه تحج الملائكة - كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة، وأذن في الناس بالحج إليها. والحكمة الثانية : أن آخر أحوال النبي ﷺ حجه الى البيت الحرام، وحج معه نحو من سبعين ألفا من المسلمين، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل⁽¹¹⁵⁾ تؤذن بالحج، لأنه الداعي اليه، والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر، والآخر : السؤال عن تخصيصه بهذه الأماكن من السماء الدنيا الى السابعة⁽¹¹⁶⁾».

نلاحظ هنا مايلي :

اعتقاد السهيلي بأن : تعليل وتفسير غوامض علوم الشريعة قد ينهضان على علوم أخرى تباينها منها ورؤيا، كعلم التعبير الذي ينهض على تفسير،

(113) الروض الانف ج : 3. ص : 450 وما بعدها.

(114) سورة يوسف الآية 92.

(115) هناك مقاربات في الموضوع تنظر في : تعطير الانام... ج/2. ص : 286-289. مادة (نبي)، وكتاب منتخب

الكلام في تفسير الاحلام لابن سيرين. ج/1 ص : 22 إلى 27. الباب الثاني. وينظر فتح الباري : ج/12.

كتاب التعبير : باب من رأى النبي ﷺ في المنام. ص : 383.

(116) الروض الانف : ج/3. ص : 450.

وتأويل نصوص لم ينتجها النقل أو العقل وإنما انتجتها رؤى منامية، وتبدو المطابقات أو المقاربات التي قدمها الإمام طريقة جدا إلا أنها منتقاة بشكل تجزيئي يجعل تقييم موضوعيتها نسبيا.

وتبرير السهيلي توظيفه علم التعبير بأنه من علم النبوة يواجه بتحفيظ حول مدة قدرة العقل المفسر، المعلل على بلوغ التأويل الصحيح الذي يقتبس من مشكاة النبوة ؟ وأظن أن إمامنا أدرك وجهة هذا التحفظ، فعبر عن ذلك بلغة تشف عن اعتذار مشوب بكبرياء ملحوظ فقال : «وكان الحزم ترك التكلفة لتأويل ما لم يرد فيه نص عن السلف، ولكن عارض هذه الغرض ما يجب من التفكير في حكمة الله، والتدبير لآيات الله، وقول الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾»⁽¹¹⁷⁾ وقد روي أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة، ما لم يكن النظر والتفكير مجردا من ملاحظة الكتاب والسنة ومقتضى كلام العرب.. ولولا إسراع الناس إلى انكار ما جعلوه، وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السؤال، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الانبياء المسلمين في هذه المراتب أكثر مما كشفنا»⁽¹¹⁸⁾.

3 - ايضاح المستغلق عن طريق حل الاشكال اللغوي والبلاغي :

يقول السهيلي معقبا على ما أورده ابن هشام عن حديث المستهزئين برسول

الله :

«... وذكر حديث المستهزئين برسول الله ﷺ، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾»⁽¹¹⁹⁾ فقال فيها : ﴿اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ﴾ ثم قال : ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ ولم يقل : استهزأوا، ثم قال : (ما كانوا به يستهزئون) ولم يقل : يسخرون.

ولابد من حكمة في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازل، فقوله : (استهزىء برسل) أي : أسمعوا من الكلام الذي يسمى استهزاء ما ساءهم، تأنيسا له، ليتأسى بمن قبله من الرسل، وإنما سمي استهزاء إذا كان مسموعا، وهو من

(117) وردت بهذا اللفظ بالضبط في أربع آيات : الآية 3 من سورة الرعد، والآية 21 من سورة الروم، والآية 42 من سورة الزمر، والآية 13 من سورة الجاثية.

(118) الروض الانف : ج/3. ص : 450...

(119) سورة الانعام الآية 10.

فعل الجاهلين. قال الله تعالى : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ؟ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁽¹²⁰⁾. وأما السخر والسخرى فقد يكون في النفس غير مسموع، ولذلك تقول : سخرت منه، كما تقول : عجبت منه، إلا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم، كما يختص السخر، وفي التنزيل - خبرا عن نوح - : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا، فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ، كَمَا تَسْخَرُونَ﴾⁽¹²¹⁾ ولم يقل : نستهزئ بكم كما تستهزئون لأن الاستهزاء ليس من فعل الانبياء... فالنبي يسخر : أي يعجب من كفر من يسخر به، ومن سخر عقولهم، فإن قلت : فقد قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾⁽¹²²⁾ قلنا : العرب تسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل، كما قال الله تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾⁽¹²³⁾ وهو مجاز حسن... ثم قال سبحانه : ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي حاق بهم من الوعيد المبلغ لهم على ألسنة الرسل ما كانوا يستهزئون به بألسنتهم، فنزلت كل كلمة منزلها، ويحسن في حكم البلاغة وضع واحدة مكان الأخرى⁽¹²⁴⁾⁽¹²⁵⁾.

حل المستغلق عن طريق الحديث :

يقول السهيلي في استدراكه على ابن هشام في موضوع : «غزوة العسيرة» : «يقال فيها : العسيرة والعشيرة، وبالسین المهملة أيضا : العسيرة

(120) سورة البقرة الآية : 67.

(121) سورة هود الآية : 38.

(122) سورة البقرة الآية : 15.

(123) سورة التوبة الآية : 67.

(124) لم يميز الدامغاني بين لفظي السخرية والاستهزاء، ينظر : «قاموس أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم»

لفظ : سخر. الوجه الثالث : ص : 233. تحقيق عبد العزيز سيد الأهل. الطبعة 2 1977 بيروت.

ولم يميز بينهما أيضا الامام الغزالي تمييزا واضحا ينظر الاحياء، م/3 الآفة الحادية عشرة : السخرية والاستهزاء.

ط/بيروت. في حين ميز بينهما أبو هلال العسكري فقال في الباب الحادي والعشرين من الفروق اللغوية : (الفرق

بين الاستهزاء والسخرية أن الانسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزئ به من أحد، والسخر يدل

على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة في اللفظتين تدل على صحة ما قلناه وذلك أن تقول استهزأت به

فتعدى الفعل منك بالباء والباء للالصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء

من أجله وتقول سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول تعجبت منه فيدل ذلك على

فعل وقع التعجب من أجله). (الفروق اللغوية للعسكري ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي. ص : 211.

بيروت : 1981).

(125) الروض الانف : ج/3. ص : 410.

والعسراء، أخبرني ذلك الامام الحافظ أبو بكر رحمه الله، وفي البخاري : أن قتادة سئل عنها فقال : العشير ومعنى العسيرة والعسراء أنه اسم مصغر من العسراء والعسرى وإذا صغرت تصغيراً لترخيم قيل : عسيرة، وهي بقلة تكون أذنه أي عصيفة ثم تكون سحاء، ثم يقال لها العسري. قال الشاعر :

وما منعها الماء إلا ضنانه بأطراف عسرى شوكتها قد تحددا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث : «لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء»⁽¹²⁶⁾.

- للسهلي مكانة مرموقة في علم الحديث، فقد سبق أن جعله أصلاً من أصول التقعيد، والتعليل، النحوي. وهنا يجعله رافداً من روافد الفهم، وجلاء الغموض. اعتباراً لكونه أبلغ وأفصح كلام بعد القرآن الكريم واعتباراً لكون معانيه منبثقة من الوحي.

5 - فك المستغلق عن طريق بيان الأصل والفرع أو التابع والمتبوع :

يقول الامام متأملاً وجه الابهام في بيت شعري لورقة بن نوفل ضمن قصيدة أوردها له ابن هشام، وهو :

ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا

«... هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء، وأن الضياء هو المنتشر عن النور، وأن النور هو الأصل للضوء، ومنه مبدأه، وعنه يصدر، وفي التنزيل : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾⁽¹²⁷⁾ وفيه : ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾⁽¹²⁸⁾ لأن نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ولا سيما في طرفي الشهر، وفي الصحيح : «الصلاة نور والصبر ضياء»⁽¹²⁹⁾ وذلك أن الصلاة هي عمود الاسلام، وهي ذكر وقرآن، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصبر عن المنكرات، والصبر على الطاعات هو الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن، والذكر. وفي أسماء الباري سبحانه :

(126) صحيح البخاري : كتاب المساقاة - باب من قال : إن صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى لقول النبي ﷺ «لا يمنع فضل الماء».

(127) سورة البقرة الآية : 17.

(128) سورة يونس الآية : 5.

(129) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب : فضل الوضوء.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽¹³⁰⁾. ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه⁽¹³¹⁾ وقد أملت في غير هذا الكتاب من معنى نور السماوات والأرض ما فيه شفاء، والحمد لله⁽¹³²⁾⁽¹³³⁾.

- يبدو هذا النص غنيا بأدوات فك الستغلقات، ومحिला على تطبيقات آنفة. فالإشكال المطروح هو تحديد الأصل من الفرع، والجوهر من العرض في التركيب الدقيق : «ضياء نور» الوارد في البيت الشعري لورقة، فأكد الامام جوهريه وأصلية النور، وعرضية وفرعية الضياء، اعتمادا على نص قرآني أول : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وتجليه له بنص ثان له طابع كوني : ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾ ورصد مصداقيته العلمية واسطة علم الفلك. ثم رسخ نفس الاستنتاج واسطة تطبيق حديثي ينص على نورانية الصلاة، وضياء الصبر. وقد توج ذلك بالاستدلال باسم «النور» صفة للخالق، وانتفاء اسم الضياء لانتفاء صفة التبعية والحدوث، ومبدئية صفة الخلق والقدم.

والصورة طريفة ممنهجة لأنها تدرجت بالاشكال من المستوى البسيط الى المركب، فاستهله بمثال عملي، معيش لا يكد الذهن كثيرا في تمثله واستيعابه : مثال المنافق الذي يشاكس، ويداهن ويماري، حتى إذا خال تجارته رابحة، وظهر له بعض ضياء انقلب ذلك ظلاما، وقتامة لحبث رصيده، فتوارى النور ثم قفى عليه بمثال يستدعي تأملا. وهو نورانية القمر وضياء الشمس، ثم عرج على عالم العبادة، فاكتشف الصلاة نوراً لأنها أصل وأم العبادات، ولأنها فرضت في رحلة الاسراء، وهي رحلة نورانية شارفت سدرة المنتهى. ثم تمثل عالم الاخلاق والمثل، فجعل «الصبر ضياء» باعتباره أهم فضيلة تستمد إكسيرا من الصلاة لذا جاءت ملازمة لها في بعض آي الذكر الحكيم⁽¹³⁴⁾.

(130) سورة النور الآية : 35. ومن أمتع شروحها رسالة : «مشكاة الانوار» لابي حامد الغزالي بتحقيق وتقديم الدكتور أبو العلا عفيفي. طبعة القاهرة. 1964.

(131) تنظر رسالة : المقصد الاسنى، شرح أسماء الله الحسنى للامام الغزالي. ص : 93 (النور). ط/ مصر. دون تاريخ.

(132) أشرنا اليها ضمن المسائل المفردة لسهيلي.

(133) الروض الانف. ج/5. ص : 75-76.

(134) جاء لفظ الصلاة ملازما للفظ الصبر في أربع آيات : سورة الرعد : الآية 22، وطه : الآية 132. والبقرة : الآيتين 45-135. كما جاء لفظ الصبر أو الاصطبار ملازما للفظ العبادة في غير ما آية مثل : ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ

لِعِبَادَتِهِ﴾ مريم : الآية 65.

ثم جمع هذه الأصول النورانية كلها، وأرجعها الى منبعها وأصلها الأول وهو «اسم النور» أحد أسماء الله الحسنى، وفي نفس الآن يكون قد جمع أمثلة الضياء لجعلها مجرد لوازم، وبوارق تهدي الى الأصل.

وعموما فقد أبانت هذه التطبيقات وغيرها⁽¹³⁵⁾ عن منهجية السهيلي في حل ما سماه «بمستغلق الكلام»، فتجاوز مفهوم الاستغلال عند الغموض والابهام اللفظي إلى غموض المضامين، والمفاهيم والمقاصد. وقد تمثلت مصادر حلوله وإيضاحاته في علوم أصيلة كالقراءات القرآنية وعلم التعبير والبلاغة، واللغة، والحديث، والفلك. كما وظف معياري الموازنة والمقاربة.

وقد كشف ذلك عن روحه العلمية خاصة عندما كان ينشد العلة اللغوية والبلاغية... كما كشف عن تجلياته الروحية عندما تأول بعض النصوص كما في تطبيق «الاسراء».

تمة الأخبار الناقصة في «الروض الانف»

الترم أبو القاسم السهيلي منهجيا بإتمام الأخبار الناقصة في تهذيب ابن هشام لسيرة ابن اسحاق، وموضوعيا رهن ذلك بوجود إمكانية علمية موضوعية، بمعنى أنه اشترط ضمنا عدم تجاوز النصوص الموثقة، وتوفر المسوغات المنطقية لهذه العملية، حيث تكون للزيادة وظيفة أساسية تجلي حكما، أو تعلل وتفسر حادثا، فتتفني صفة التراكم اللفظي الذي لا ينشد بلورة أو تصحيحا أو إبانة عن دلالة خفية. وهكذا كان همه «إيضاح خبر يوجد السبيل الى تتمته»^(135م).

وسنحاول تبين وظائف هذه الزيادات من خلال التطبيقات المنتقاة الآتية علما بأن متن الروض طافح الزيادات، ونحن لا ننشد هدفا إحصائيا وتوثيقيا، وإنما نتوخى رصد النكتة التي رفعت الزيادة الى مستوى الفعل والاثارة.

1 - الزيادة في خطبة الرسول ﷺ في فتح مكة المكرمة :

يقول السهيلي : «وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابن هشام وفيها من رواية الشيباني عن ابن إسحاق نبيه عن صيام يومين⁽¹³⁶⁾. وصلاة ساعتين :

(135) تنظر تطبيقات أخرى قيمة في «الروض الانف» : ج/3- ص : 80-81-87-88-152-153-410.

ج/4- ص : 386-387. ج/5- ص : 248-249. ج/6 ص : 254-557-570-571.

(135م) الروض الانف : ج/1. المقدمة.

(136) يعني عيد الفطر، وعيد الاضحى : ينظر صحيح مسلم : كتاب : الصيام : باب : النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى.

يعني طلوع الشمس وغروبها⁽¹³⁷⁾ وألا يتوارث أهل ملتين⁽¹³⁸⁾ وعن لبستين⁽¹³⁹⁾ وطعمتين⁽¹⁴⁰⁾ وفسرتا في الحديث فقال : اللبستان : اشتمال السماء، وأن يحتبي الرجل وليس بين عورته والسماء حجاب والطعمتان : الأكل بالشمال، وأن يأكل منبطحا على بطنه⁽¹⁴¹⁾.

- نسجل هنا أن المؤلف ذكر الزيادة بنصها الأصلي المستقل، وعذره أنه بصدد الشرح، والايضاح وإن كان الاولى التنصيص على لفظ الزيادة، وموقعها من الخطبة، كما أشار الى مصدرها : رواية يونس بن بكير أحد رواة سيرة ابن اسحاق⁽¹⁴²⁾.

وأهمية هذه الزيادة في مزجها بين أركان وفضائل، وفي إلماعها إلى الفروض من خلال السنن، والأحكام من خلال الفضائل، فقد نهى عليه السلام عن صيام يومين إيماء إلى وجوب صيام الشهر، ونهى عن صلاة ساعتين إيماء إلى ركنية الصلوات الخمس، وعن توارث ملتين إيماء إلى هيمنة الاسلام على سائر الأديان، ونسخه لنا كما نهى عن اللبستين، والطعمتين تضمينا لوجوب الحلية والطيبة في أصولها. ولعمري إن هذا المنهج ليوافق اللحظة النفسية الدقيقة التي عاشها الرسول ﷺ بعد الفتح، فلو استعرض عليهم الأركان بعينها لولد ذلك ضغطا نفسيا وتوجسا، ولكنه المنهج التربوي النبوي السليم.

2 - التخصيص على لفظ الوثيقة التي وادع بها الرسول ﷺ بني

ضمرة :

يقول السهيلي معقبا على وقائع «غزوة العشرة».

«... وذكر أي ابن اسحاق «موادعته» «أي الرسول» لبني ضمرة، وهم بطن من بني ليث، وهم بنو غفار وبنو نعيلة بني مليل بن ضمرة وكانت نسخة

(137) صحيح البخاري : كتاب مواقيت الصلاة : باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس.

(138) سنن الدارمي : ج/2 ص : 369 باب في ميراث أهل الشرك وأهل الاسلام.

(139) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب اشتمال السماء، وباب الاحتباء في ثوب واحد.

(140) في سنن أبي داود : كتاب الأطعمة باب 18. نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر وأن يأكل الرجل وهو منبطح على بطنه. قال أبو داود : حديث منكر.

(141) الروض الانف : ج/7 ص : 144. ص : 144-145.

(142) أشار السهيلي في مقدمة «الروض الانف» إلى أبرز رواة سيرة ابن اسحاق وهم : يونس بن بكير الشيباني، ومحمد بن فليح والبكائي، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن إدريس، وسلمة بن الفضل الاسدي.

الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحاق : «... بسم الله الرحمان الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أخوالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا في دين الله ما بلل بحر صوفة، وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله، وذمة رسوله، ولهم النصر على من بر منهم واتقى»⁽¹⁴³⁾.

- لاحظ الامام - من خلال رواية ابن اسحاق - إقامة الرسول ﷺ بالعشيرة جمادى الأولى، وليالي من جمادى الآخرة توجت بموادعته لبني مدلج، وبني ضمرة، فألح السهيلي على إيراد وإضافة وثيقة الموادعة اعتمادا على مصدر آخر، فقدم من خلالها نموذجاً حياً للمعاهدات النبوية وشروطها، وطبائعها الاخلاقية. فقد اشترط الرسول على نفسه قبل أن يشترط عليهم، رغم أنه في موقع قوة، فأمنهم على الأموال والأنفس، والتزم بمناصرتهم أبداً على الحق، وبعد ذلك اشترط عليهم الالتزام بتلبية نداء مناصرة الدين مبشراً بإيائهم بالنصر المؤزر، فصورت الوثيقة منهجاً فريداً في التعاهد يقوم على الحلم والحكمة، والتواضع والنظر النافذ البصير⁽¹⁴⁴⁾.

3 - استدراك على ابن اسحاق في مهاجري الحبشة :

يقول السهيلي : «وذكر ابن اسحاق من بني الحارث بن قيس من هاجر الى أرض الحبشة، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث، وذكره الواقدي وغيره، والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾»⁽¹⁴⁵⁾⁽¹⁴⁶⁾.

- تتجاوز هذه الزيادة التعريف بوالد الحارث الى بيان الخانة التي صنفه فيها القرآن الكريم : خانة المستهزئين، والصورة فريدة لأنها تبين مدى قدرة الدعوة

(143) الروض الانف : ج/5 ص : 78.

(144) الاروع من هذه الصورة ما زاده السهيلي من كتاب : «الدلائل» لقاسم بن ثابت في موضوع «محادرة الرسول ﷺ لجماعة من قبيلة شيان بن ثعلبة عرض عليهم الايمان» فصورت أخلاقاً جاهلية فاضلة امتدحها الرسول ﷺ كما عكست مرونة الداعية، وإمساكه الناس بالحسنى، واحترامه للاعراف الأخلاقية الفضلى للقبيلة كما أوضحت المبادئ الكبرى التي كان يقدمها، وينافح عنها كما أنها - إضافة الى ذلك - عصاره أدبية تطفح بالبلاغة العربية والتصوير البياني المثير. ولولا طولها لأوردناها ينظر : «الروض الانف» : ج/4 ص : 60-61.

(145) سورة الحجر الآية : 95.

(146) الروض الانف : ج/3 ص : 239.

على استقطاب أولي النهى وتحديد شوط جديد يحكم قانون الأبوة، والبنوة كليهما، وهو شرط الايمان فكان الأب مكابرا مستهزئا، وكان الابن مهاجرا الى الله ورسوله.

4 - زيادة بيتين شعريين في دالية الاعشى الشهيرة :

بعد مناقشة السهيلي لمختلف ملابسات هذا النص المثير وشرحه لصوره، وغريبه قال : (147).

«... وفي القصيدة زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الناقة :

فأما إذا ما أدلجت فرى لها رقيين نجما لا يغيب وفرقا

وقع هذا البيت بعد قوله : «لينا غير أحردا».

وقوله في صفة النبي ﷺ : أغار لعمرى في البلاد ونجدا. وبعده.

به أنقذ الله الأنام من العمى وما كان فيهم من يربع الى هدى

- كانت هذه الزيادة تتويجا لتعقبات أنفة انتقد فيها وهم ابن هشام في تسليمه بصحة الحوار الذي دار بين الأعشى وأحد المشركين، والشاعر في طريقه الى الرسول بمكة - وركز انتقاده لورود تحريم الخمر في الحوار، مع أن تحريمها لم ينزل إلا في المدينة بعد بدر وأحد، وفي سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل. لذا كانت الزيادة مجرد مطية لبيان التشكك في نسبة النص الى الاعشى، رغم ورود اسمه في البيت الخامس.

فإن تسألني عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث أصددا

وعبارة السهيلي : «فإن صح خبر الاعشى» تغلب اعتقاده في انتحال النص، وقد جزم الدكتور شوقي ضيف بأن القصيدة موضوعة، لا لأنها تدعو

(147) الروض الأنف : ج/3-ص : 387 وتقع القصيدة في خمسة وعشرين بيتا باعتبار البيتين المزيدين من طرف السهيلي. وأولها :

ألم تغتمنه عيناك ليلة أرمدنا وبت كما بات السليم مسهدا

تنظر في ديوان الاعشى : تحقيق محمد محمد حسين : باب الدال رقم 17 وتقع في أربع وعشرين بيتا من البحر الطويل، ويلاحظ أن المحقق أثبت البيت الأول (فأما إذا أدلجت...) لكن قبل البيت المختتم بـ (لينا غير أحردا) وليس بعده كما ذكر السهيلي، في حين لم يثبت المحقق البيت الآخر المزيدي (به أنقذ الله الأنام...).

إلى الاسلام فحسب، بل لأنه ينظم فيها آيات قرآنية مثل قوله تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (148) وقوله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ (149) وقوله : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (150) وقوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (151) وهذا لا يتفق في شيء مع نفسية الأعشى الذي ما كان يستمع القرآن، ويؤمن به على هذا النحو، وقد حكم الدكتور شوقي ضيف بالانتحال على نصوص أخرى للأعشى الأكبر، تحمل نفس الاسقاطات المثارة (152).

5 - زيادة نص شعري لطيف لشاعر من المؤلفات قلوبهم :

يقول السهيلي معقبا على ما أورده ابن اسحاق حول اقتبال الرسول ﷺ بالجرعانة لوفد هوازن، وتوسل شاعرهم أبو صرد زهير للرسول أن يمن على عشيرته بعطايا تخفف بلاءهم.

وأما زهير الذي ذكره فهو : أبو صرد، يكنى أبا صرد، وقيل أبا جزل - وكان من رؤساء بني جشم، ولم يذكر ابن اسحاق شعره في النبي ﷺ ذلك اليوم، في رواية البكائي، وذكره في رواية ابراهيم بن سعد عنه : (153)

أمن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وننتظر
أمن على بيضة قد عاقها قدر	مزمق شملها في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتخب	في العالمين إذا ما حصل البشر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلما حين يختبر
أمن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك تملأه من محضها الدرر

(148) سورة البقرة الآية : 197.

(149) سورة المائدة الآية : 3.

(150) سورة المعارج الآية : 25.

(151) سورة الاسراء الآية : 32.

(152) العصر الجاهلي ص : 343/342/341 ط : 3 القاهرة 1960. وقد تحفظ محقق الديوان في نسبة النص إلى الأعشى فقال : (هذه القصيدة مروية في كثير من كتب الادب، ولكن العجيب من أمرها أن القسم الثاني منها الذي خص فيه النبي بالمدح يريب الباحث لسببين : 1) فهو أضعف بكثير من الشطر الأول إلى حد الركافة والتفاهة. 2) متأثر ببعض آيات القرآن في معناها أو في ألفاظها أو هو على الأقل يصور الأعشى وقد ألم بتعاليم الاسلام إلما حسانا).

(153) الروض الانف : ج/7 ص : 279-280-281.

إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها	وإذ يزينك ما تأتي وما تدر
لا تجعلنا كمن شالت نعمته	واستبق منه فإننا معشر زهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به	عند الصباح إذا ما استوقد الشرر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تغفو وتنصر
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

- نسجل هنا أن الامام يتوخى - في زياداته - لَمَّ شتات سيرة ابن اسحاق، وأطرافها، من خلال ضم الروايات الى بعضها، والنواقص الى مكملاتها، وهكذا وظف رواية ابراهيم بن سعد لتكميل واتمام رواية البكائي. وطرافة هذه الزيادة الابداعية تصويرها الفني الرائق للنفسية المكلمة للمؤلفة قلوبهم حيث التوسل بألبان المرضعات، وهي الشفيق المؤثر، الذي يذيب القلب من كمد.

كما أن قراءة متأنية للنص، تصحح مفهوما غير دقيق لهوية المؤلفة قلوبهم، فالاسلام لم يراهن على المعيار المادي لضمان إيمانهم، وإنما كانوا يعانون من الفقر المدقع، ومؤمنين أيضا بمصداقية الدين الجديد، ومعتذرين عن تشككهم السابق : (إنا لنشكر الآء وإن كفرت) (إنا نؤمل عفواً منك...) ومعنى هذا أن الاسلام تصدق عليهم لفقرهم من جهة، واعتذارهم عن كفرهم، فكان تأليف قلوبهم على الدين - بواسطة الصدق - أوفق لوضعيتهم، وإشعارا لهم بسماحة الاسلام وتكرمه للانسان. ولعل سلامة هذا الاستنتاج تتجلى في نقيض الصورة إذ ما ثبت قط أن النبي ﷺ ألف قلب غني، مهما بلغ كفره في السابق، وإيمانه وجهاده في اللاحق.

6 - زيادة متعلقة بنسب، وأخرى حول إرهاصات تحريم الخمر :

يقول السهيلي معقبا على ابن هشام في موضوع : «كسر الاصنام وإسلام عباس بن مرداس» : «وذكر عباس بن مرداس⁽¹⁵⁴⁾ ويكنى أبا الفضل، وقيل :

(154) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من المؤلفة قلوبهم قال فيه عبد الملك بن مروان : «انه أشجع الناس في الشعر» وكان ضمن جماعة حرمت الخمر في الجاهلية (الاصابة. ج/3 ص : 101-102-103، والخبير لابن حبيب. ص : 473).

أبا الهيثم، ومن ذريته عبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس⁽¹⁵⁵⁾ ونسبه : عباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية بن عبد بن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي، كان أبوه حاجبا لحرب بن أمية، وقتلتها الجن في خبر مشهور. وعباس ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، وحرّمها أيضا على نفسه قبل الاسلام : أبو بكر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وقيس بن عاصم، وقبل هؤلاء حرّمها على نفسه عبد الملّب بن هاشم وورقة بن نوفل وعبد الله بن جدعان، وشيبة بن ربيعة، وسرّيد ابن المغيرة ومن قدماء الجاهلية : عامر بن الظرب العدواني⁽¹⁵⁶⁾

- وراء هذه الزيادة نكتتان : أولاهما : التعريف بنسب عباس بن مرداس، والاشارة الى انضواء عبد الملك بن حبيب، فقيه الاندلس الشهير في ذريته، وهذا يطرح مسألة نزوح أصلاب عربية أصيلة وكثيفة الى الأندلس.

ثانيهما : انضواء عباس ضمن طائفة حرمت على نفسها الخمر في الجاهلية ويشكل ذلك بصورة ضمنية ارهاصا بليغا لتبني تحريمها لاحقا من طرف الاسلام، كما يكشف أن تعاليم الاسلام لم تكن مجرد نشاز غريب، طريد في الجزيرة العربية، وإنما كانت إقرارا ومباركة لمبادئ مثالية شتى، استوعبتها العقلية الجاهلية التي لم تعقد الاجماع على مصداقية عقائدها وممارساتها جملة وتفصيلا.

7 - زيادة مستفيضة حول تجليات يوم الجمعة :

توج الامام السهيلي تعقيبه على ما أثاره ابن هشام حول «أول جمعة أقيمت بالمدينة» بلطائف وتجليات ذات طابع استطرادي إلا أنها عنده (زيادة خير).

«... فإنك إذا كنت في الجمعة، وتفكرت في كل جمعة قبله حتى يترقى وهمك الى الجمعة التي خلق فيها أبوك آدم، ثم فكرت في الايام الستة التي قبل يوم الجمعة، وجدت في كل منها جنسا من المخلوقات موجودا الى السبت، ثم

(155) عبد الملك بن حبيب بن سليمان، فقيه أندلسي كبير يقال : إنه أدرك مالكا في آخر حياته. وتفقه على أصحابه، له في الفقه كتابه : «الواضحة» قال عنه سحنون يوم بلغه نعيه : «هو عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا» توفي عام 239 هـ (ينظر تاريخ ابن الفريسي : ج/1 ص : 313 وبغية الملتبس : الترجمة 1063. ص : 377. ونفح الطيب : ج/2 ص : من 5 الى 12. طبعة إحسان عباس.

(156) الروض الانف : ج/7. ص : 155-156.

انقطع وهمك فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبت وجودا إلا للواحد الصمد
الوتر، فقد ذكرت الجمعة من تفكر بوحدانية الله وأوليته، فوجب أن يؤكد في
هذا اليوم توحيد القلب للرب بالذكر له كما قال تعالى : ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ
وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾⁽¹⁵⁷⁾ وأن يتأكد ذلك الذكر بالعمل، وذلك بأن يكون العمل
مشاكلا لمعنى التوحيد، فيكون الاجتماع في مسجد واحد من المساجد، وإلى إمام
واحد من الأئمة، ويخطب ذلك الإمام، فيذكر بوحدانية الله تعالى وبلقائه،
فيشاكل الفعل القول، والقول المعتقد.

فتأمل هذه الأغراض بقلبك، فإنها تذكرك بالحق، وقد زدنا على ما شرطنا
في أول الكتاب معاني لم تكن هنالك وعدنا بها، ولكن الكلام يفتح بعضه باب
بعض، ويحدو المتكلم قصد البيان الى الاطالة ولا بأس بالزيادة من الخير، والله
المستعان⁽¹⁵⁸⁾.

- ليست هذه الاضافة من قبيل سابقاتها، لانها تتجاوز تكميل خبر ناقص
في تهذيب ابن هشام، إلى الافضاء بمجموعة من التجليات الروحية والسوانح
الوجدانية حول يوم الجمعة. وقد أحس الامام بأنه حاد عن الشرط الموضوعي
في هذه الزيادة، إلا أنه وسمها «بزيادة الخير» إحالة على مظانها الروحية الوجدانية.
وإن النظر ليتحسس في هذه اللطائف، والطرف ارتفاعا بالوجدان الروحي
إلى شأو سامق، يتجاوز المستوى الرتيب المعيش، ويصبح معه الزمن العادي مجرد
قالب خارجي يشف قلبه بالرؤيا والوجد.

ومجمل القول : إن معيار هذه الزوائد والتكميلات لم يكن اعتباريا أو
بغية استعراض التراكمات المعرفية، فقد أبانت التطبيقات المقدمة وغيرها⁽¹⁵⁹⁾ عن
أبعاد، ومقاصد موضوعية بحتة نوجزها في إتمام خطب الرسول ﷺ لأنها مصدر
أحكام وتشريعات وآداب، وتقديم نصوص معاهداته لأنها ترجمة لما يحكم نظرة
الفتاح الاسلامي من مبادئ وشروط أخلاقية وإنسانية، ورصد نماذج تتبجس
بالرمز في الوقائع الكبرى كالابن المهاجر الى الحبشة، نقيض والده المستهزى،

(157) سورة الجمعة الآية : 9.

(158) الروض الانف : ج/4. ص : 109. وتذكرنا صياغة هذا النص بما نقرأه من تجليات في كتاب التوهم للمحاسبي
الفقيه الصوفي المعروف.

(159) تنظر تطبيقات أخرى قيمة في الروض الانف : ج/3. ص : 240-257. والجزء الرابع ص :
47-298-387 والجزء الخامس. ص : 28-245.

وتصوير منهجية الاسلام في إدماج الحالات الخاصة في المجتمع الاسلامي الجديد
كالمؤلفة قلوبهم...

كما هدفت الزيادات إلى اكتشاف الارهاصات التي مهدت لشيوع تعاليم
الاسلام وقيمه المثالية، كما هو الحال في تحريم الخمر، ثم رصد سلاسل الأنساب
ووصلها بما يميزها ويزينها في الحاضر كما هو الحال بالنسبة للصحابي عباس بن
مرداس، وحفيده الاندلسي الكبير عبد الملك ابن حبيب، ثم استقصاء الروايات
لتعليل، وتغليب حكم فقهي كما في مسألة بناء الرسول ﷺ بزوجه ميمونة :
أكان يومها محرما أم حلالا⁽¹⁶⁰⁾ ثم الافاضة بتجليات روحية طرفة كما في مسألة
يوم الجمعة.

ونلخص من هذا إلى أن الزيادة - بخصائصها هذه - أفادت تهذيب (ابن
هشام) ومن خلاله أصل ابن اسحاق.

تصحيح الانساب في الروض الانف

توطئة :

طبقا للمنهج الذي رسمه الامام السهيلي في مقدمة «الروض الانف»، فإنه
عني بإيضاح «ما وقع في سيرة رسول الله ﷺ... من لفظ غريب، أو إعراب
غامض، أو كلام مستغلق، أو نسب عويص...»⁽¹⁶¹⁾.

ويبدو أن الامام من كبار المهتمين بعلم الانساب، رغم أنه لم يترك مؤلفا
مخصوصا به، الا ان ضلوعه فيه يبرز في كتابيه المعروفين : «الروض الانف»
والتعريف والاعلام بما اهتم في القرآن من الاسماء والاعلام وأيضا في كتبه التي
المح اليها، أو نسبت اليه مثل : «المستدرك على كتاب «الاستيعاب» لابن عبد

(160) أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزم الهلالية أخت أم الفضل لبابة، تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة
عام 70 لما اعتمر عمرة القضية، وأسند ابن حجر إلى يزيد ابن الاصم أن الرسول تزوجها وهو حلال، ووصف
الخبر بأنه مرسل، وخالفه ابن عباس فجزم بأنه تزوجها وهو محرم ومن الفقهاء من قال : إنه عقد عليها قبل
الاحرام، وبنى بها بعده، أو خلال الاحرام ثم بنى، وقيل انها التي وهبت نفسها للنبي فنزلت فيها الآية، ورجح
ابن حجر وفاتها عام واحد وخمسين، وهي آخر من مات من أزواج الرسول ﷺ.
(تنظر ترجمتها في : الاصابة : ج/4- ص : 411 الى 413، الترجمة : 1026. وبهامش : الاستيعاب : ص :
404، والخبر لابن حبيب. ص : 91. تصحيح الدكتوراة يلزحه ليختن شتير بيروت (غير مؤرخة).
(161) الروض الانف : المقدمة.

البر»⁽¹⁶²⁾ والاشارة إلى سيرة المصطفى، وآثار من بعده من الخلفاء⁽¹⁶³⁾ و«تاريخ في الدولة الموحدية»⁽¹⁶⁴⁾ وقد وصف عند أغلب مترجميه بالنسابة يقول ابن الجزري : «وكان بحرا في انواع من العلوم لاسيما المعاني واللغة والنسب»⁽¹⁶⁵⁾.

وقد كان الامام - كغيره من النساين - مشدودا الى هذا الفن الذي تجذر في البيئة العربية الجاهلية، واستثمر من طرف الاسلام لحفظ الأصول، والتشريع للموارث، والاقواف وغيرها، وللاعتبار الأدبي في الانكحة⁽¹⁶⁶⁾ والاعتبار العلمي المثالي في معرفة الرسول ﷺ⁽¹⁶⁷⁾ اضافة الى تفرد العقل العربي بالتصنيف فيه.⁽¹⁶⁸⁾

وقد أيد السهيلي مذهب طائفة من العلماء في جواز رفع الانساب، وعدم كراهته، خلافا للامام مالك الذي علل كراهته له بتعذر الضبط، والتوثيق عند ملاحقة النسب الى حدود عليا، مع اعتباره لما صح عن الرسول ﷺ أنه لم يتجاوز انتسابه الى عدنان⁽¹⁶⁹⁾ الى جده الأعلى ابي رويحة الخثعمي الصحابي الجليل الذي عقد له الرسول ﷺ لواء عام الفتح⁽¹⁷⁰⁾، وقد وظف مجموعة من المصادر الخاصة بفن النسب، والسير، والتفسير، والحديث، والتاريخ. ويكشف هذا التنوع حرص المؤلف على تصحيح الانساب، باستعراض مختلف الآراء، واقتراح أو إقرار الصورة العلمية الصحيحة، ومن أبرز هذه المصادر :

- كتاب الانساب لابن ماکولا - نسب قريش لابي عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري - نسب قريش للزبير بن بكار - كتاب النساء لابي عمر ابن عبد البر - كتاب الانساب لابي عبيد القاسم بن سلام - أسماء رجال السيرة

(162) الروض الانف : ج 4، ص : 408.

(163) مخطوط بمونيخ تحت رقم : 448- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج : 3 ص : 13.

(164) دليل مؤرخ المغرب الاقصى لابن سودة. ج : 1، ص : 134-135.

(165) غاية النهاية، ج : 1 ص : 371.

(166) اعتبر الامام الشافعي النسب معيارا في كفاءة الزوج.

(167) يرى بعض الفقهاء أن من تمام الايمان معرفة النسب الشريف، وان المسلم لا يعذر بجهله.

(168) كتب السيرة النبوية تصدر بذكر النسب الشريف، بل ان هناك من خص نسبه وحده بالتأليف مثل ابي سعيد

عبد الملك بن محمد النيسابوري في (شرف المصطفى) وابن دحية في (سلسلة الذهب في نسب سيد العرب والعجم).

(169) قال السهيلي : الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود، وقال الامام القسطلاني نقلا عن ابن دحية : «اجمع

العلماء والاجماع حجة - على ان رسول الله ﷺ انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه» ج 1 من المواهب ص : 14.

(170) المطرب : ص : 230.

لابن الفرضي - كتاب المولد للواقدي - الاستيعاب في اسماء الاصحاب لابن عبد - البر حاشية الشيخ ابي بحر سفيان بن العاصي - سيرة الزهري - سيرة موسى بن عقبة - سيرة سليمان بن المعتمر - سيرة يونس بن بكير - تفسير يحيى بن سلام - تفسير الحميدي - الجامع الصحيح للبخاري، وغيرها.⁽¹⁷¹⁾

ونسجل ان كتب الفهارس والبراج الاندلسية كفهرست ابن خير⁽¹⁷²⁾، وابن عطية⁽¹⁷³⁾، وبرناج شيوخ الرعيني تشير الى اعتماد هذه المصادر، وشبهاتها في الدرس العلمي الاندلسي، كما نسجل أن كتب الطبقات والتراجم الاندلسية تأخذ في اعتبارها المنهجي التنصيص على أنساب المترجمين والافاضة في رفعها احيانا لجلاء مكانتهم الاسرورية والاجتماعية، ومن ثم جلاء مكانتهم العلمية المرموقة، كما ان فن النسب وجد رواجاً خاصاً في الدولة الموحدية يقول الاستاذ محمد المنوني «وهذا الفن كان به مزيداً اعتناء في هذه الدولة ومن مظاهر هذا ما ذكره ابو القاسم الزباني في كتابه : «تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب» فإنه بعد ما ذكر ان منصب النقابة في بني أمية وبني العباس كان يعدل منصب الوزارة، وأفاض في هذا قال : وكذلك كان شأن النقابة بالمغرب أو قريب منه أيام لمتونة والموحدين... ومن التأليف التي وضعت في النسب لهذا العهد «كتاب الانساب في معرفة الاصحاب» لمؤلف مجهول كان يعيش في هذا العهد... و«كتاب أخبار المهدي» للبيدق، وتقييد ابن عبد الله المراكشي المعروف بالاصولي في الشرفاء العمرانيين، وبعض وفيات الاعيان، وغير ذلك من الأمور المهمة»⁽¹⁷⁴⁾.

- وقد سبقت الاشارة الى رواية ابي القاسم الملاحي حول المتاعب التي جناها شيخه السهيلي من رفعه نسب يعقوب المنصور الى ذرية النبي عليه السلام وتهمنا الرواية المزعومة هنا من حيث كشفها عن حساسية موضوع النسب يومئذ، وتوجيه الاحداث أحيانا بتأثيره.

(171) تنظر هذه المصادر، وباقي مصادر الروض الانف في مبحث خاص نختم به هذه الاطلالة. ص : 173-180.
(172)(173) تنظر ص : 239-240 حيث اثبت سنده لكتاب نسب قريش لزبير بن بكار، وكتاب النسب لابي عبيد القاسم بن سلام، وتنظر اسانيده لكتب لسيروا المغازي من ص : 230 الى 237 طبعة بيروت 1963، وتنظر أسانيد ابن عطية الى سيرتي ابن اسحاق وابن هشام في ص : 51، والى التاريخ الكبير للبخاري ص : 75، والى الاسماء والكنى للنسائي ص : 102 (فهرس ابن عطية تحقيق : محمد ابو الأجناف، ومحمد الزاهي، الطبعة الأولى 1980 بيروت.
(174) العلوم والاداب الفنون على عهد الموحدين ص : 66.

تطبيقات على تقويم الانساب :

لقد كانت وراء اهتمام الإمام بالانساب علل متباينة لخصها في عبارة :
الكشف عن «النسب العويص» التي ترمز الى عقبات شتى تحول دون معرفة
صحة النسب، سيحاول المؤلف الكشف عن طبيعتها، ثم تقديم البدائل الموضوعية،
وهذه نماذج تطبيقية لها :

1) استقصاء عمود النسب، مع الابانة عن القبيلة والبطن :

يقول متقصيا نسب عميس والد اسماء زوج جعفر بن ابي طالب : «وذكر
(أي ابن هشام) اسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب، وعميس أبوها
هو : ابن معد ابن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن
ربيعة بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن خلف بن
افتل، وهو جماعة خثعم بن اثمار على الاختلاف في اثمار هذا، وقد تقدم وأمها
هند بنت عون بن زهير بن الحارث من كنانة، وهي اخت ميمونة بنت الحارث
الهلالية زوج النبي ﷺ، أمهما واحدة، وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس،
وكن تسع أخوات فيهن قال رسول الله ﷺ «الأخوات مؤمنات»⁽¹⁷⁵⁾.

- نلاحظ هنا ضلالة السهيلي ونفسه الطويل في تقصي النسب، إذ ساق
لعميس خمسة عشر جدا، كما أورد لأمها هند ثلاثة اجداد، وتكثيفه لنسب الاب
يبرر بشرعية الانتساب من جهته، إلا أن عزز نسب الأم هند بذكر أختها ميمونة
زوج الرسول ﷺ ولبابة زوج العباس، ونسبتهما بمصاهرة الرسول ﷺ والعباس
يضيفي على نسبهما شرفا كبيرا. كما ابان عن قبيلتي الاب، والام خثعم، وكنانة،
وزاد فوضح البطن الذي ينتمي اليه عميس وهو اثمار والامانة العلمية، نبه الى
الاختلاف حول اثمار، كما يلاحظ تعزيزه لانضواء هند أم أسماء ضمن تسع
اخوات بحديث الرسول ﷺ «الأخوات مؤمنات»، وهذا يكشف عن استثنائه
بالحديث الصحيح تعزيزا للنسب.

2) ضبط الاسم، وشكله تلافيا لالتباسه بغيره :

يقول : «وذكر (اي ابن هشام) زنيرة التي اعتقها ابو بكر، وأول اسمها

(175) الروض الانف : 355/2 - 366.

زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فعيلة، هكذا صحت الرواية في الكتاب»⁽¹⁷⁶⁾.

3) تغليط ابن قتيبة في نسب، وتصحيحه، وتمديده الى عهد الاندلس :

يقول مقوما نسب سمية ام عمار، وهي أول شهيد في الاسلام : «هي بنت خياط، كانت مولاة لابي حذيفة بن المغيرة، واسمه مهشم، وهو عم أبي جهل، وغلط ابن قتيبة فيها، فزعم ان الازرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر، فولدت له سلمة بن الازرق، وقال اهل العلم بالنساء : إنما سمية ام سلمة بن الازرق سمية أخرى وهي : ام زياد بن ابي سفيان، لا أم عمار، وعمار، والحويرث، وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذين ويقال الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن عامر بن حارثة بن زيام بن عنس بن مالك بن زيد العنسي المذحجي حليف لبني مخزوم، ومن ولد عمار : عبد الله بن سعد بن الحسن بن عبد الله بن عمار بن ياسر، وهو المقتول بالاندلس، قتله عبد الرحمان بن معاوية»⁽¹⁷⁷⁾.

- يتناول هذا التقويم نسب الاسرة المسلمة الشهيذة اسرة آل عمار، التي ضربت مثالا نادرا في التحدي والاصطبار حتى دعا لها الرسول ﷺ : «اللهم لا تعذب احدا من آل عمار بالنار»⁽¹⁷⁸⁾، لذا حرص السهيلي على بحث نسب سمية ام عمار، فعرف بأبيها خياط، ومولاها ابي حذيفة بن المغيرة. والتعريف الأول لتأصيل النسب، والثاني تمييز الوضعية الاجتماعية - وهي ذات خطوة يومئذ - ثم قوم متشابه ابن قتيبة فعرف بسمية أم سلمة بن الازرق - وبابنها الذي اشتهرت به وهو زياد بن أبي سفيان، ثم ميزها عن سمية زوج ياسر التي اشتهر لها ثلاثة ابناء : عمار، والحويرث، وعبود، واستقصى لهم خمسة عشر جدا.

(176) الروض الانف : 221/3.

(177) الروض الانف : 220/3.

(178) اسرة عمار بن ياسر من اوائل الاسر المجاهدة، قتل ابو جهل امه فكانت أول شهيد في الاسلام، وقد نزل فيه قوله تعالى : ﴿لَا مَنَ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، وقال فيه الرسول ﷺ (إن عمار بن ياسر حشي ما بين أخص قدميه الى شحمة أذنيه إيمانا)، وكان عليه السلام يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول : «صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة» تنظر مناقبه في الجامع مع شروح ابن حجر ج : 7 باب : 20، كتاب «فضائل الصحابة» وتنظر ترجمته ومناقبه في «الاصابة» ج : 2، الترجمة : 5704 ص : 512، وينظر في نفس الجزء (باب عمار) من ص : 476 الى 481.

وحيث إن عمارا اكثر الابناء شهرة : فقد ذكر له من عقبه اللاحق : عبد الله بن سعد المقتول بالاندلس. وكان المؤلف يريد تمييز هذا النسب بخاصية الاستشهاد، اما مصدر هذا التقويم فهم «أهل العلم بالنساء»، وهذا يكشف عن احتكام الامام الى المصادر المختصة في الموضوع لأنها اكثر توثيقا وضبطا من المصادر العامة، وقد ألمع في «الروض الانف» الى نماذج منها ككتاب النساء لابن عبد البر.

(4) مقارنة النسب الصحيح استثناسا بشهادة شعرية :

يقول معقبا على ابن هشام في ذكر أنساب المبايعين في العقبة الأولى : «وذكر فيهم أباهم الهيثم بن التيهان ولم ينسبه، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ولا في غزوة بدر، وهو مالك بن التيهان، واسم التيهان ايضا مالك بن عمر بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمر بن مالك ابن الانصاري حليف بني عبد الاشهل، كان أحد النقباء ليلة العقبة، ثم شهد بدرا، واختلف في وقت وفاته، فأصبح ما قيل فيه، إنه شهد مع علي صفين، وقتل فيها رحمه الله.

واحسب ابن اسحاق وابن هشام تركا نسبه - على جلالته في الانصار، وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ - لاختلاف فيه، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رواحة حين اضاف ابو الهيثم رسول الله ﷺ في منزله - ومعه ابو بكر وعمر - فذبح لهم عناقا وأتاهم بقنو من رطب الحديث بطوله، فقال ابن رواحة في ذلك :

فلم أر كالا سلام عزا لاهله ولا مثل أضياف الاراشي معشرا

فجعله إرشيا كما ترى، والاراشي منسوب الى إراشة في خزاعة، أو الى إرش بن حيان بن الغوث، فالله أعلم : أهو انصاري بالحلف أم بالنسب المذكور قبل هذا، ونقلته من قول ابي عمر في «الاستيعاب»، وقد قيل : إنه بلوي من بني إراشة ابن فاران بن عمرو بن علي، والهيثم في اللغة : فرخ النسر، أو العقاب، والهيثم أيضا ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة وبه سمي الرجل هيثما أو بالمعنى الاول، وأنشد :

رعت بقران الحزن روضا منورا عميما من الظلّاع والهيثم الجعد⁽¹⁷⁹⁾

(179) الروض الانف : ج : 4، ص : 98.

- نلاحظ في هذا التطبيق التماس السهيلي العذر لابن اسحاق وابن هشام في عدم تنصيبها على نسب أبي الهيثم بن التيهان، للاختلاف الواقع فيه، ونظرا لجلاله هذا الصحابي، فان الامام تأمل اهم المعطيات، وقدم أقرب نسب الى الصحة، الا ان الجديد هنا توظيفه رأي ابن عبد البر في كون أبي الهيثم لإرشيا إعتادا على الصورة الشعرية لابن رواحة، وهو معاصر للهيثم، واكثر معرفة بنسبه، ونستنتج ان الإشارة الشعرية الموثقة - في رأي ابن عبد البر والسهيلي - يمكن ان تكمل وظيفة الوثيقة الناقصة، ونسجل أخيرا مقارنة الامام لمضامين ودلالات الاسماء أو ما يسمى اليوم بالتفسير النفسي للأسماء، فنبه الى معاني الهيثم : فرخ النسر، العقاب، ضرب من العشب، وقد تأوله عليه لاستحسانه، وافترض تأويل المعنى الأول، لاستقباحه.

5) تصحيح التقديم والتأخير في سلسلة النسب :

يقول مصححا ما أورده ابن هشام في نسب زيد بن نفيل : «وقال : زيد بن عمرو بن نفيل الى آخر النسب»⁽¹⁸⁰⁾ والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بتقديم رباح على عبد الله، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني انه رزاح بالفتح : رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه الذي تقدم ذكره»⁽¹⁸¹⁾.

- نلاحظ في هذا النموذج حسم السهيلي في تصحيح نسب زيد بن عمرو بن نفيل قياسا على نسب ابن عمه عمر بن الخطاب المشهور، وحتى لا يشبهه في هوية جده رزاح، فقد شكله اعتمادا على حاشية الشيخ أبي بحر سفيان بن العاصي التي أثنى عليها مرارا في «الروض الانف»، في حين اعتبر شكل الدارقطني - رغم شهرته - زعماء، لأن حاشية أبي بحر دلت - كما يشير السهيلي - على اختصاصه في رجالات السيرة، وتحقيقه وضبطه لعلامها، في حين ان الدارقطني مختص في علم الحديث. وتؤكد هذه الملاحظة ما درج عليه إمامنا من

(180) نسبه الوارد عند ابن هشام : زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤي، وهو أحد أربعة تشككوا في عبادة اوثان الجاهلية، فكان لكل منهم اختيار، وكان اختياره دين ابراهيم، وخبر لقائه مع الرسول قبل بعثته شهير، وهو مناط تعليقات الفقهاء والاصوليين، لصلته بموضوع الذبائح، (ينظر فتح الباري - كتاب مناقب الانصار، باب : 24 الجزء : 7، ص : 142).

(181) الروض الانف : ج : 2، ص 335-356.

نزوع الى الاصول، والمصادر المختصة بغية التوثيق العلمي، خاصة وأن عمله في «الروض الانف» يقوم اساسا على الاضافة، والمراجعة، والتهذيب.

6) تصحيح النسب اعتمادا على رواية الجامع الصحيح للبخاري :

تعقب السهيلي أخبارا أوردها ابن هشام عن غزوة احد، ومن ذلك تصحيحه نسب عبيد الله بن عدي الذي قصد صحبة جعفر بن عمر بن أمية الضمري - وحشيا ليحدثهما عن قتله لحمزة :

«... وقال وحشي لعبيد الله : ما رأيتك منذ ناولتك أمك لسعدية، ولم يذكر اسمها، وام عبيد الله بن عدي هي أم قتال بنت أبي العيص بن أمية ذكرها البخاري في هذا الخبر⁽¹⁸²⁾، ولم يقل السعدية، فهي إذن قرشية أموية لا سعدية، الا ان يريد بها مرضعته إن كانت سعدية»⁽¹⁸³⁾.

- الجديد في هذا الموضوع تصحيح نسب ام عبيد الله بن عدي اعتمادا على مصدر حديثي، غير مختص بالانساب، وهو الجامع الصحيح للبخاري، وعلة ذلك تلقي الامة له بالقبول، وتواتر صحته، ومن ثم اعتبر السهيلي أسانيده الحديثية أصلا في التوثيق، والتحقيق.

7) اتصال المؤلف بالسند اصل غير ترجيح النسب :

من بين تعقيبات السهيلي على اخبار ابن هشام في غزوة خيبر، تساؤله عن اسم ونسب الشخص الذي كان على المغام :

«وذكر حديث عبد الله بن مغفل حين احتمل جراب الشحم، وأراد صاحب المغام اخذه منه، ولم يذكر اسم صاحب المغام، وروى عن ابن وهب انه قال : «كان على المغام يوم خيبر ابو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الانصاري هكذا وجدته في بعض كتب الفقه مرويا عن ابن وهب، ولم يتصل لي به إسناد»⁽¹⁸⁴⁾.

8) توظيف النسب، وتحقيقه، لغاية فقهية :

يقول مبينا نسب ام زيد بن عمرو بن نفيل الذي كان له موقف خاص

(182) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(183) الروض الانف : ج : 5، ص : 459.

(184) الروض الانف : ج : 6، ص : 561.

من الدين، اذ فارق الأوثان، والميتة والدم والذبائح القربات، كما تورع عن الدخول في النصرانية أو اليهودية وقال : أعبد رب ابراهيم : «أم زيد هي : الحيداء بنت خالد الفهمية، وهي امرأة جده نفيل ولدت له الخطاب، فهو أخو الخطاب لامه، وابن اخيه، وكان ذلك مباحا في الجاهلية بشرع متقدم، ولم تكن من الحرمات التي انتهكوها، ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله ﷺ فكانة تزوج امرأة ابيه خزيمة، وهي برة بنت مر، فولدت له النضر بن كنانة، وهاشم ايضا قد تزوج امرأة ابيه واقدة فولدت له ضعيفة، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله ﷺ لأنها لم تلد جدا له، أعني : واقدة، وقد قال عليه السلام : «انا من نكاح لا من سفاح»⁽¹⁸⁵⁾، ولذلك قال سبحانه : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾⁽¹⁸⁶⁾، اي الا ما سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام، وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله ﷺ، وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية ولا من سفاح، الا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن : «الا ما قد سلف» نحو قوله : ﴿لَا تَقْرُبُوا الزُّنَى﴾⁽¹⁸⁷⁾ ولم يقل «إلا ما قد سلف» ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾⁽¹⁸⁸⁾، ولم يقل : «إلا ما قد سلف»، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها الا في هذه، وفي الجمع بين الاختين⁽¹⁸⁹⁾، لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا ايضا في شرع من قبلنا، وقد جمع يعقوب بين راحيل واختها ليا⁽¹⁹⁰⁾، فقلوه : «الا ما قد سلف» التفاتة إلى هذا المعنى، وتنبية على

(185) لم يرد لفظه في الاصول الصحاح المعتمدة، ادرجه ابن كثير في سيرته وقال : هذا حديث غريب جدا من حديث مالك، تفرد به القدامى وهو ضعيف وذكر له شواهد قريبة من لفظه، الا أنها تتراوح بين الارسال والغرابة، وضعف الاسناد غير انه أورد أحاديث تزكي معناه مثل ما أخرجه مسلم في صحيحه (إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من بني اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفانا من بني هاشم) (السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد ص : 189-190-191، طبع القاهرة 1964.

(186) سورة النساء الآية : 22.

(187) سورة الاسراء الآية : 32.

(188) سورة الانعام الآية : 151.

(189) يريد قوله تعالى : ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ سورة النساء الآية : 23.

(190) ذكر السهيلي في «التعريف والاعلام» ص : 82، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ : انما يعني اياه وخالته وهي ليا، لان أمه كانت قد ماتت، وقيل بل كانت حية، والله اعلم، ومن ليا، أخوه يهوذا وهو القاتل : «لا تقتلوا يوسف...» وقال السيوطي بصيغة الجزم : (وهما ابوه وأمه : راحيل أخرجه ابن ابي حاتم عن قتادة)، ثم اضاف : (واخرج - اي ابن حاتم - عن السدي قال : (خالته واسمها ليا) مفحمتا الاقران في مبهمات القرآن، تحقيق اباد خالد الطباع، ص : 126، الطبعة الأولى : 1986، بيروت.

هذا المغزى، وهذه النكتة لقنتها من شيخنا الامام الحافظ ابي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو : والد سعيد بن زيد احد العشرة الذين شهد لهم بالجنة⁽¹⁹¹⁾، وأم سعيد فاطمة بنت نعجة بن خلف الخزاعي⁽¹⁹²⁾.

- يبرز هذا النموذج التطبيقي عقلانية السهيلي، وعدم احترازه من مناقشة هذه الصورة التي قد يشعر البعض إزاءها بحساسية خاصة، طالما أنه يحتكم الى النص القرآني ويعتبره المعيار الفاصل، والمثير أن سياق الموضوع الذي كان يناقشه لم يكن يفرض عليه التعرّيج على نسب رسول الله ﷺ، لأنه صدر به كتابه، لكنه تعمد هذا الاستطراد، ليوضح ملابسات بعض الانكحة الجاهلية المسنونة بشرع متقدم، كالزواج بامرأة الاب، وقدم مثالين لعمر بن نفيل ونزه هذه السنة من الابتداع وانتهاك الحرمات، وقاسها على جمع يعقوب عليه السلام بين الاختين راحيل وليا، بحكم الشرع المطبق يومئذ، ومن ثم فالسهيلي يدمج هذه الحالات في الانساب الطاهرة، لأنها بريئة من جميع مظاهر البغاء الجاهلي مثل سفاح الجاهلية⁽¹⁹³⁾ ونكاح الاستبضاع⁽¹⁹⁴⁾، ونكاح الجمع⁽¹⁹⁵⁾، وغيره. ولو كانت

(191) هم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد، وسعيد وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة ابن الجراح، رضي الله عنهم، وقد أسند ابو داود حديث العشرة الى سعيد بن زيد (ينظر كتاب السنة - باب في الخلفاء) في حين اسنده الترمذي الى عبد الرحمن بن عوف، ويلاحظ أن حديث سعيد يدخل النبي ﷺ في العشرة، ويستثنى ابا عبيدة في حين يستثنى حديث عبد الرحمن ابن عوف شخص الرسول ﷺ ولعل هذا ظهر، من صيغة الحديث، كما ان الاخبار بكون الرسول ﷺ في الجنة أمر مفروغ من بداهته، في حين ان الاخبار بخطوة العشرة بشرى لهم واي بشرى (ينظر شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، تخرّج محمد ناصر الدين الالباني ص : 549 الى 553 - الطبعة السادسة : 1400 هـ بيروت).

(192) الروض الانف : ج : 2 ص : 355-356.

(193) (194)(195) أورد البخاري في صحيحه : «كتاب الانكحة باب من قال : لا نكاح إلا بولي» حديث عائشة الجامع، وأبرزت فيه أربعة أشكال لنكاح الجاهلية، ولأهميته نوره بلفظه : «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء :

- 1 - فنكاح منها : نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.
- 2 - ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمئنها : ارسلني الى فلان، فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها، ولا يمسه ابدا حتى يبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.
- 3 - ونكاح آخر : يجتمع الزهط دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومُرّ ليال بعد ان تضع حملها، ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يتمتع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يتمتع به الرجل.

أنكحة اجداد الرسول ﷺ مشوبة بأدنى شبهة لعير كفار قريش بها الرسول ﷺ لجلالة النسب عند العرب، وعند استعراضنا لتحدياتهم، وتحرشاتهم لا نعثر على أدنى تعريض بنسبه الشريف بل إن طهارة اصوله شكلت رادعا كبيرا، وعاصمة قوية.

وكعادة السهيلي، فإنه عند استعراضه لسلسلة النسب، فإنه يمددها لإصالح عقب شهير، كما هو الحال بالنسبة لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل احد العشرة المبشرين بالجنة.

ظاهرة التوثيق والامانة العلمية في «الروض الانف»

لم يشترط السهيلي على نفسه صراحة توثيق النصوص والاعبار، كما اشترط إيضاح اللفظ الغريب، والاعراب الغامض، والنسب العويص، واستنباط الحكم الفقهي، وتمة الخبر الناقص، وقد أحببت توثيق هذا الاستنطاق لمنهجه في «الروض الانف» برصد خاصية التوثيق، والامانة العلمية التي وسمت مشروعه هذا بالسمة العلية التي تسامت به عن مجرد توليد التراكمات اللفظية، الى البصر بالنصوص، وفحصها، ومراقبتها رقابة جسدية أحيانا ادق معايير وشروط التحقيق العلمي المعاصر.

وأعتقد أن لشهادة محقق «الروض» الاستاذ المرحوم عبد الرحمن الوكيل أهمية خاصة، لأنها ترجمة لمعيشة حميمة لنصوصه، قال «إني احتشدت لها بكل ما أملك من جهد لا أزعم أنه عظيم، وإنما أزعم أنه كل ما أملك»⁽¹⁹⁶⁾، وهذه شهادته :

«... ومما جعلنا أيضا شديدي الاحترام للرجل - رغم ما وجدت عنده من خرف - هذه الحقيقة التي تطالعك في كتابه إنها الامانة الصادقة في النقل،

4 - ونكاح رابع، يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها : وهن البغايا كن ينصبن على ابوابهن رايات تكون علما، فمن ارادهن دخل عليهن، فاذا حملت احدهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون، فالتايطه به ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك.

فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم، وقد نقل الحافظ ابن حجر عن الداودي انكحة أخرى جاهلية كنكاح الخدن (ولا متخذات اخدان) ونكاح البدل، ونكاح التمتع... (ينظر فتح الباري : كتاب الانكحة : باب من قال لا نكاح الا بولي ج : 9، ص : 184-185.

(196) الروض الانف ج : 1، ص : 14 -مقدمة المحقق -.

ونسبة كل شيء الى قائله، فلم يأت بزيادة مفتراة، أو يقترف في نقله نقصاً قد يغير من مفهوم القول، وقد راجعت لعظم ما نقل، وقايسته على مصادره، فلم أجد إلا طهر الامانة، ونبل الصدق في كل نقوله...»⁽¹⁹⁷⁾.

كما نجد تنصيها على نفس هذه الميزات في شهادات شتى لدارس آخر معاصر وهو الدكتور محمد ابراهيم البنا الذي تدرس بالتراث النحوي للسهيلي⁽¹⁹⁸⁾. على أننا لا نعدم في شهادات الاقدمين اشادة بنفس الخاصة نكتفي منها بما افضى به المؤرخ، الناقد، الأديب احمد المقرئ في حق ابي القاسم : «كان مقرئاً مجوداً، متحققاً بمعرفة التفسير... محدثاً واسع الرواية ضابطاً لما يحدث به، حافظاً متقدماً»⁽¹⁹⁹⁾.

واعتقد ان عبارة «الجمع بين الرواية والدراية» التي عدل بها الاقدمون والتي نعت بها ابن الجزري السهيلي⁽²⁰⁰⁾ تنطوي في عمقها على الاقرار بقدرة العالم على تحقيق، وتوثيق مروياته، ليتفقه فيها، ويستنبط منها الأحكام والتشريعات الصحيحة.

ونخلص من هذا إلى أن ميزة التوثيق، والتحقيق لم تكن حُبساً على «الروض» وحده، وإنما كانت لازمة منهجية طبعت تصانيفه تلك التي نعت بالحسن⁽²⁰¹⁾ والتأنق⁽²⁰²⁾.

وسنحاول - من خلال التطبيقات التالية - رصد أبرز مقومات التوثيق، والتحقيق في «الروض»، والكشف عن طبيعة الموضوعات التي حظيت أكثر من غيرها بهذه الميزة، مع التنوي بمعالم الامانة العلمية في النص، والإلماع الى بعض العوامل التي كونتها ورسختها.

1) النسخة الصحيحة هي الأصل :

حقق السهيلي اسماء بعض الاماكن التي سلكها الرسول ﷺ مع ابي

(197) الروض الأنف ج : 1، ص : 16 - نفس المقدمة -.

(198) نجدها في مقدمة «امالي السهيلي» وبين ثنايا «ابو الحسين بن الطراوة» ودراساته لتراث السهيلي.

(199) الاحاطة ج : 3، ص : 477.

(200) غاية النهاية في طبقات القراء ج : 1، ص : 371.

(201) البداية والنهاية ج : 12، ص : 318.

(202) تذكرة الحفاظ ج : 4، ص : 1348 - الترجمة : 1099.

بكر - صحبة دليلهما - في الطريق الى المدينة المنورة، ومن ذلك ضبطه لاسمي «لفت» و«مجاج» :

أ) «... وذكر لقفا بفتح اللام في قول ابن اسحاق، وفي رواية ابن هشام : لفتا، واستشهد ابن هشام يقول معقل الهذلي :

نزيعا محلبا من أهل لفت لحى بين أثلة فالنجم

وألفيت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لفت بكسر اللام، الفيته في شعر معقل هذا في أشعار هذيل في نسختين، وهي نسخة صحيحة جدا، وكذلك ألفاه من وثيقته وكلفته ان ينظر فيه لي في شعر معقل هذا في أشعار هذيل مكسور اللام في نسخة ابي علي القالي المقروءة على الزيادي ثم على الاحول ثم قرأها على ابن دريد رحمه الله، وكذلك كان الضبط في هذا الكتاب قديما حتى ضبطته بالفتح عن القاضي وعلى ما وقع في غيرها، انتهى كلام ابي بحر وقد ذكر ابو عبيد البكري : لفتا بكسر اللام كما ذكر أبو بحر».

ب) وذكر المواضع التي سلك عليها، وذكر فيها «مجاج» بكسر الميم وجيمين وقال ابن هشام : ويقال فيها «مجال» بالفتح، وقد ألفيت شاهد الرواية ابن اسحاق في لقف - وفيه ذكر مجاج بالحاء المهملة بعد الجيم، وهو قول محمد بن عروة بن الزبير.

لعن الله بطن لقف مسيلا ومجاحا وما أحب مجاحا
لقت ناقتي به، وبلقف بلدا مجدبا وارضا شحاحا

هكذا ذكر الزبير بن أبي بكر، «ولقف» آخر غير «لفت» فيما قال البكري⁽²⁰³⁾. نستنتج من النص ما يلي :

1 - التخصيص على اعتماد النسخ المصححة (نسخة أبي بحر)⁽²⁰⁴⁾، ونسخة أبي علي القالي.

2 - معيار صحة النسخة يتمثل في قراءتها على الثقات المتقدمين (الزيادي،

(203) الروض الانف : ج : 4، ص : 248.

(204) تنظر المساهمة القيمة لأستاذنا الدكتور ابراهيم بن الصديق في الندوة الوطنية للسيرة النبوية، التي نظمها جمعية ابي رقرق بسلا أيام : 4-5-6 دجنبر 1987، موضوع : «مميزات المدرسة المغربية في ضبط وقائع السيرة النبوية من خلال مصادر الامام السهيلي في الروض الانف» ص : 9 الى 12 مرقونة على الآلة الكتابة.

(الاحول) ثم قراءتها على الشيخ المباشر (ابن دريد استاذ القالي) ومن ثم تكون ضمانته تواتر صحتها جيلا بعد جيل.

3 - استعراض أبرز الاقوال في المسألة (ابن اسحاق - ابن هشام، الزيايدي - ابن دريد - القالي - أبو بحر - الزبير بن أبي بكر).

4 - ترجيح الرواية الاصح يكون عن طريق النص الشعري الاقدم، الموثق.

5 - تشعب الخلاف في الاسماء المتشابهة، يشعر باختلاف المسميات.

2 - إحالة النص على صاحبه :

يقول الامام موثقا اسم احد الاعلام في مبحث : «مبادأة رسول الله ﷺ قومه : «وذكر (أي ابن اسحاق) مجيء نفر من قریش الى أبي طالب في أمر النبي ﷺ، وذكر انسابهم، وذكر فيهم ابا البختري بن هشام، قال : واسمه لعاصي ابن هشام، وقال ابن هشام، هو العاصي بن هاشم والذي قاله ابن اسحاق هو ابن الكلبي، والذي قال ابن هشام هو قول الزبير بن ابي بكر، وقول صعب وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ ابي بحر سفيان بن العاصي⁽²⁰⁵⁾.

نسجل الملاحظات الآتية :

1 - تأصيل القولتين، بإحالتهم على أصحابهما الاصلاء.

2 - الايمان بالترجيح عند تضافر وتوافق رأيين (قولة ابن هشام).

3 - التنصيص على مصدر النص كله (حاشية ابي بحر).

3) تناسب الآثار والاقوال يفضي الى التصديق :

يقول محققا شهادة الرسول ﷺ في جبل أحد : «... وأحد الجبل المعروف بالمدينة، سمي بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هنالك، وقال فيه الرسول ﷺ : «هذا جبل يحبنا ونحبه»⁽²⁰⁶⁾، وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوال : قيل أراد أهله : وهم الأنصار، وقيل أراد أنه كان يبشره اذا رآه عند القدوم من أسفاره بالقرب من أهله ولقائهم : وذلك فعل الحب، وقيل : بل حبه حقيقة، وضع الحب فيه كما وضع التسييح في الجبال المسبحة مع داود⁽²⁰⁷⁾،

(205) الروض الانف ج : 3، ص : 51.

(206) صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب الحيس. وكتاب الدعوات : باب التعوذ من غلبة الرجال.

(207) يقصد الآيات : «اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ، وَادْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ» سورة صر، الآيتان 17-18. «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ» الانبياء الآية : 7. «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ» سورة سبأ الآية : 10.

وكما وضعت الخشية في الحجارة التي قال الله فيها : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾⁽²⁰⁸⁾، وفي الآثار المسندة ان أحدا يوم القيامة عند باب الجنة، وذكره ابن سلام في تفسيره، وفي المسند من طريق أبي عبيد بن جبر عن رسول الله ﷺ قال : «أحد يحبنا ونحبه، وهو على باب الجنة، وغير يبغضنا وبغضه، وهو على باب النار» ويقويه قوله ﷺ : «المرء مع من أحب»⁽²⁰⁹⁾، فتناسبت هذه الآثار، وشد بعضها بعضا»⁽²¹⁰⁾.

نسجل هنا ما يلي :

- 1 - استعراض ابرز مفاهيم العلماء للحديث الوارد.
- 2 - سياق نصوص حديثية مشاكلة له، تعضيذا وتقوية، والاحالة على مصادرها (الآثار المسندة - تفسير ابن سلام - المسند من طريق أبي عبيد بن جبر).
- 3 - تحقيق مصداقية النص الاصيلي من خلال توافقه مع نصوص أخرى، وعدم وجود تناقض يوهن الصحة.
- 4 - تحقيق مصداقية مفاهيم النص جميعها، لعدم تنافرها، وهو شكل من أشكال تحقيق المضامين اذا صح التعبير.
- 5 - تعضيد النص الخاص (هذا جبل يحبنا ونحبه) بنص عام (المرء مع من أحب). تسويغا لمعنى الخاص.

4) التحفظ من صحة الخبر لعدم اتصال السند :

يقول الامام بصدد تحقيق اسم المسؤول عن المغام في غزوة خيبر : «... وذكر (أي ابن هشام) حديث عبد الله بن مغفل حين احتمل جراب الشحم، وأراد صاحب المغام اخذه منه، ولم يذكر اسم صاحب المغام، وروي عن ابن وهب انه قال : كان على المغام يوم خيبر ابو اليسر كعب بن زيد الانصاري، هكذا وجدته في بعض كتب الفقه مرويا عن ابن وهب، ولم يتصل لي به اسناد»⁽²¹¹⁾.

(208) سورة البقرة الآية : 74.

(209) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب علامة الحب في الله.

(210) الروض الانف : ج : 5، ص : 449.

(211) الروض الانف : ج : 6، ص : 561.

نضيء النص بالآتي :

- 1 - عدم اتصال المحقق بالاسناد، وتعذر تحقيق الاسم اعتمادا على مصدر حديثي متخصص، يقويان حكم التحفظ والاحتراز.
- 2 - التنصيص على عدم اتصال الاسناد موقف علمي، الا ان التعميم في الاحالة (بعض كتب الفقه) لا يسعف الباحث في الحل الا بعد جهد.

5) ايراد اقوال الخصم شرط علمي موضوعي :

يقول السهيلي في موضوع سياق الاشعار الهاجية لرسول الله ﷺ. «لا اعرض لشيء من أشعار الكفرة التي نالوا فيها من رسول الله ﷺ الا شعر من أسلم وتاب كضرار، وابن الزبيري، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن اسحاق في ادخاله الشعر الذي نيل فيه من رسول الله ﷺ ومن الناس من اعتذر عنه وقال : حكاية الكفر ليس بكفر، والشعر كلام، ولا فرق ان يروي كلام الكفرة ومحاجتهم للنبي ﷺ وردهم عليه منثورا، وبين أن يروي منظوما، وقد حكى ربنا سبحانه في كتابه العزيز مقالات الأمم لأنبيائها وما طعنوا به عليهم، فما ذكر من هذا على جهة الحكاية نظما أو نثرا فإنما يقصد به الاعتبار بما مضى، وتذكر نعمة الله تعالى على الهدى والانقاذ من العمى، وقد قال عليه السلام : «لأن يمتليء جوف احدكم قيحا خيرا له ان يمتليء شعرا»⁽²¹²⁾. وتأولته عائشة رضي الله عنها في الاشعار التي هجى بها رسول الله ﷺ وانكرت قول من حملة على العموم في جميع الشعر»⁽²¹³⁾.

نسجل الملاحظات الآتية :

- 1 - مشايعة السهيلي اكثرية اهل العلم في كراهة ايراد اشعار الكفرة التي نالت من رسول الله ﷺ ويرر الاستاذ رضا عبد الجليل الطيار هذا الموقف الاخلاقي بقوله : «... وهذا الاستثناء لأشعار الكفرة غير علمي، ولكنه نابع من ورعه وتحرجه الديني»⁽²¹⁴⁾.
- 2 - يلاحظ دفاع ضمني عن ابن اسحاق من خلال حجج موضوعية :

(212) صحيح البخاري، باب ما يكره أن يكون الغالب على الانسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن.

(213) الروض الانف ج : 5، ص : 73-74.

(214) الدراسات اللغوية في الاندلس، ص : 158.

- حكاية الكفر ليس بكفر بمعنى أن رواية تهم الخصم لا تدل بالضرورة على الاعتقاد والتسليم بها.

- النظرة العلمية تقضي بقياس اشعار الهجاء على نثرياته التي ساق منها القرآن -

وهو الكتاب الاقدس - نماذج تصور الصراع الذي خاضه الانبياء مع أقوامهم.

- توظيف الاشعار الهاجية للعبارة، وشكر نعمة الهداية، وهنا يصبح الالتزام بالموضوعية العلمية مفضيا الى نقيض ما توجس منه المتحفظون. بمعنى أن الشرط العلمي يرسخ الشرط الاخلاقي ولا يلغيه أو يهيمن عليه.

- الدفاع العلمي عن الشعر باعتباره ابداعا وبيانا، والاحتجاج بتأويل عائشة - وهي رمز فقهي وأخلاقي رفيع من بيت النبوة - حديث الرسول ﷺ حول الشعر لأن «يمتلئ جوف...»

6 - محفوظات الحاضر المعايين الثقة اصح من محفوظات الغائب رغم

فقهه :

يقول السهيلي - محققا ملابسات السماع لنداء أصحاب القليب يوم بدر : «... وذكر (أي ابن هشام) انكار عائشة ان يكون عليه السلام قال : «لقد سمعوا ما قلت» قالت : وإنما قال : «لقد علموا ان الذي كنت اقول حق».

قال المؤلف : وعائشة لم تحضر، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام، وقد قالوا له : يا رسول الله : أتخاطب قوما قد جيفوا أو أجيفوا ؟ فقال : «ما أنتم بأسمع لما اقول منهم»، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين، جاز ان يكونوا سامعين إما بأذان رؤوسهم اذا قلنا : إن الروح يعاد الى الجسد أو بعض الجسد عند المسألة - وهو قول الأكثرين من أهل السنة - وإما بأذن القلب أو الروح، على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح، من غير رجوع منه الى الجسد أو إلى بعضه، وقد روي أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه : ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾⁽²¹⁵⁾، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ، أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾⁽²¹⁶⁾ ؟ ! أي أن الله سبحانه هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعدة الى آذان القلوب، لا أنت، وجعل الكفار أمواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء،

(215) سورة فاطر الآية : 22.

(216) سورة الزخرف الآية : 40.

لا نبيه، ولا أحد، فإذن لا تعلق بالآية على وجهين : أحدهما : أنها إنما نزلت في دعاء الكفار الى الايمان. والثاني أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم، وصدق الله فإنه لا يسمعهم - إن شاء - إلا هو، ويفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير»⁽²¹⁷⁾.

نسجل الملاحظات التالية :

- جلالة الشخص وفقهه لا تنسخ مبدئاً علمياً موضوعياً يقضي بتفضيل رواية الحافظ الحاضر على رواية الثقة الجليل الناقل.
- تحقيق الخبر من خلال موقعه من الحوار العام، بمعنى التنبيه الى ارتباط النص صياغة وموضوعاً بما قبله وما بعده.
- تحقيق الخبر على المستوى الموضوعي يقتضي إسقاط عِلل المنتقد احتكاماً إلى نصوص أقوى (القرآن الكريم).

7 - اكتشاف الانتحال لا ينسخه جلال أو شهرة المتحل عليه :

يقول السهيلي محققاً انتحال قصيدة على أبي بكر الصديق ومطلعها :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث أرقت وأمر في العشيرة حادث

«... وذكر ابن هشام أن قوماً من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكون هذه القصيدة لأبي بكر، ويشهد لصحة من أنكروا أن تكون له ما روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : «كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر في الاسلام» رواه محمد البخاري عن أبي المتوكل عن عبد الرزاق...»⁽²¹⁸⁾.

نستنتج الملاحظات التالية :

- تفيد عبارة «أهل العلم بالشعر» ضرورة الاخذ برأيهم، لأنهم أهل اختصاص، وشهادة المختص ليست كشهادة غيره.
- تعضيد شهادة المختص شهادة عائشة التي وثقها وأخرجها البخاري وهي كريمة أبي بكر، وألصق به من غيره، وخبيرة بالشعر والشعراء ومن ثم كانت شهادتها أقوى من شهادة غيرها.

(217) الروض الانف : ج : 5، ص : 175.

(218) الروض الانف : ج : 5، ص : 71.

- الطريف أن صفة الانتحال استهدفت أبا بكر، وكذا ابن الزبيري الذي نسب إليه نص شعري زعم انه ردّ على قصيدة أبي بكر.
- الغريب أن السهيلي أقر انتحال النص، في حين أنه عرف برأب بن حارث الوارد في البيت الثالث عشر قائلًا : (وقول أبي بكر : رأب بن حارث : يعني عبدة بن الحارث بن عبد المطلب) إلا أن يكون قصده : (وقول أبي بكر فيما انتحل عليه...)

- يلاحظ أن القصيدة من غرر النصوص القديمة، وإن اكتشاف انتحالها لا يمكن أن يتأثر بجلال الشخص المنتحل عليه، وبالتالي لا يمكن أن ينال من قيمتها كأثر فني، لأن الغاية من تصحيح النسبة وتحقيقها غاية علمية أساسا.

8 - صحة النص لا تنقض بعلّة الفهم :

يقول الامام محققا دلالة قوله عليه السلام : «أفلق وأبيه إن صدق» :
«... قرب كلمة ترك أصلها، واستعملت كالمثل في غير ما وضعت له أولا، كما جاءوا بلفظ القسم في غير موضع القسم، إذا أرادوا تعجبا واستعظاما لأمر كقوله عليه السلام في حديث الاعرابي من رواية اسماعيل بن جعفر : (أفلق وأبيه إن صدق)⁽²¹⁹⁾، ومحال أن يقصد ﷺ القسم بغير الله تبارك وتعالى لاسيما برجل مات على الكفر، وإنما هو تعجب من الأعرابي، والمتعجب منه هو مستعظم، ولفظ القسم في أصل وضعه لما يعظم، فاتسع في اللفظ حتى قيل على هذا الوجه فإن تك ليلى استودعتي أمانة فلا وأبي أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يقسم بأبي أعدائها، ولكنه ضرب من التعجب، وقد ذهب أكثر شراح الحديث الى النسخ في قوله : «أفلق وأبيه» قالوا : نسخه قوله عليه السلام : «لا تحلفوا بآبائكم»⁽²²⁰⁾، وهذا قول لا يصح، لانه لم يثبت أن النبي ﷺ كان يحلف قبل النسخ بغير الله، ويقسم بقوم كفار، وما ابعد هذا من شيمته ﷺ، تالله ما فعل هذا قط، ولا كان له بخلق، وقال قوم : رواية اسماعيل بن جعفر مصحفة، وإنما هو «أفلق والله إن صدق» وهذا أيضا منكر من القول، واعتراض على الاثبات العدول فيما حفظوا، وقد خرج مسلم في «كتاب

(219) صحيح البخاري : باب وجوب صوم رمضان وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(220) صحيح البخاري - كتاب مناقب الانصار - باب : ايام الجاهلية.

الزكاة» قوله عليه السلام لرجل سأله : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : وأبيك لانبئك، أو قال : لاخبرنك، وذكر الحديث⁽²²¹⁾ وخرج في «كتاب البر والصلة». قوله لرجل سأله، من احق الناس بأن ابره أو قال : اصله ؟ فقال : وأبيك لانبئك، صل أمك ثم أباك ثم أدناك، فأدناك⁽²²²⁾، فقال في هذه الأحاديث كما ترى : وأبيك، فلم يأت اسماعيل بن جعفر إذاً في روايته بشيء مر، ولا بقول بدع⁽²²³⁾.

نستتج من النص معايير التحقيق الآتية :

- تصحيف الرواية لا يثبت بعله الفهم، وإنما بالعلل الصناعية الحديثية المعروفة.
- تأكد عدالة وثبوت رواية النص يسقط علة التأويل.
- دعم الرواية «المطعونة» بنصوص صحيحة في موضوعها، يسقط صفة الطعن، ويجوؤها الى العقل المؤول.
- تحقيق مصداقية النص يتوصل بما سماه السهيلي «مقتضيات لغة العرب» ومن ثم كان استشهاده هنا بالشعر.

معايير أخرى في إيجاز :

إن تقصي أطراف «الروض» ليفضي الى نظرات ثاقبة في التحقيق والتوثيق وتوخيا للتركيز والايجاز، فإننا سنلمع الى أهمها مع الاحالة على مظانها :

9 - تنصيبه على الصفة التي تلقى بها الخبر : سماعاً أو تحديثاً أو إخباراً أو جادة أو غيرها من طرق الرواية والتلقي، في الوقت ذاته يحدد سلسلة سنده الواصل، المتصل اليه⁽²²⁴⁾.

10 - تكبر، وتحدد عند السهيلي أحيانا «حمية» التحقيق، فيميز ما يعتبره حقائق مما يعتبره مزاعم. ويعلق بلغة غاضبة، متشنجة من قبيل، «حام فما ورد وصأصاً فما فقح»⁽²²⁵⁾، «لم يصنع شيئاً»⁽²²⁶⁾ «هذه فضائح لا غطاء لها»⁽²²⁷⁾

(221) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب بيان ان افضل الصدقة الصحيح الشحيح، وباب ان اليد العليا خير من اليد السفلى.

(222) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والاداب : باب الوالدين، وأنها أحق به.

(223) الروض الانف : ج : 6، ص : 548-549.

(224) ينظر مثال لرواية سماع بسند شيخه ابن العربي : الروض الانف ج : 4، ص : 58-59.

(225) الروض الانف ج : 4، ص : 156-157، وهنا يعرض بابن جني في «مسألة المنوع من الصرف».

(226) الروض الانف ج : 3، ص : 450... حيث يعرض بابن بطلال شارح البخاري في تفسير حديث «الاسراء والمعراج».

(227) الروض الانف ج : 4، ص : 166. حيث يعرض بالنسائي في مسألة «الفرق بين اذ وإذا».

«وهذه هفوة لا تقال، وعثرة لا لعالها»⁽²²⁸⁾.

وبديهي ان هذه التقييمات لا تخدم الهدف العلمي الرصين، وهي - لقلتها - تدل على ما يمكن أن ينال أحيانا من هذه الرصانة المشروطة، لأسباب، وبواعث في أغلبها طارئة.

11 - حيث ان «الروض الانف» عني بالقضايا الكبرى في سيرة ابن هشام : فانه لم يوضع الا لمن يسميهم السهيلي، «اهل الفن» أو أهل الاختصاص بلغة العصر، لذا لم يوثق مجموعة من الأخبار لشهرتها، وذيوها في مصادر السير والفقه، والحديث، والتفسير، وأيضا لبراءتها من الخلافات، وهنا يكون الإمام قد وفى بشرط التحقيق، واعتذر عما اعتبره نافلة التوثيق.⁽²²⁹⁾

12 - نسجل ان فضيلة التحقيق، والتوثيق، لزمته منذ فترة الطلب المبكر، وقبل ضرره الطارئ، يقول : «وأملى علينا أبو بكر الحافظ، وكتبت عنه بخط يدي» «وكذا سمعت الحافظ ابا بكر ينطق به، وقيدناه عن ابي بكر ابن طاهر» - «كذا وجدته... مقيدا»⁽²³⁰⁾.

وفي هذه الدقة، والضبط تماثل كبير بينه وبين الشيخ ابي بحر سفيان ابن العاصي، ولعله تأثر بمنهجه.

13 - يلاحظ ان إمامنا اثار الى مصادره في «الروض» ونيف بها على مائة وعشرين، لكنها شارفت المائتين، فعكس ذلك تعلقه بمبدأ الامانة العلمية، وقد كان من حقه على محقق «الروض» إبراز هذه المزية الاخلاقية العلمية، فيعرف بالمصادر، ويفهرسها، فيبرز جهد الامام، وفضيلة المحقق⁽²³¹⁾.

14 - تبرز فضيلة الاخلاق العلمية عندما يتهم السهيلي عقله أحيانا بالقصور، ويعترف بعدم ادراك حكمة خفية وراء حكم معين، أو نازلة فقهية دقيقة،

(228) هذا مثال من ثلاثة عرض فيها السهيلي بابن سيدة : وقد بالغ في ذلك حتى تجاوز التعريض الى التشهير،
الروض الانف ج : 3، ص : 357-359. ج : 5، ص : 412.

(229) الروض الانف : ج : 3، ص : 255.

(230) تنظر هذه النصوص حسب ترتيبها في : الروض الانف : ج : 4، ص : 168، ج : 6، ص : 587. ج : 4. ص : 248.

(231) حاوات تجريد هذه المصادر من الروض، وهذا جهد المقل. تنظر ص : 173-180.

فتتوارى الأحكام، وتغيب التعليقات، ويتشوف العقل الكبير الى الحقيقة في أناة، واصطبار، فيقول مرة : «وقد بقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته بفهمها إن شاء الله تعالى⁽²³²⁾» ويستعيد مرة قول الأعشى : «أما هذه فلا تزال في النفس منها علالات»⁽²³³⁾.

15 - على مستوى الاطار الزمني للاستشهاد يلاحظ استشهاد السهيلي بالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر والأمثال، وأقوال الصحابة والفصحاء. ولم يتجاوز عصور الاستشهاد المعروفة فيمن استشهاد بهم من الشعراء⁽²³⁴⁾. يستثنى من ذلك أبا تمام الذي استشهاد به في ثلاثة مواضع في الروض⁽²³⁵⁾ معترفا في الوقت نفسه بأنه ليس بحجة، وإنما استشهاد به لعلمه وإجماع علماء العربية على أنه لم يلحن.

(232) الروض الأنف : ج : 3، ص : 216-217.

(233) اشتهر عن الأعشى انه قصد الرسول ﷺ ليسلم، فاعترضه - كما يقول ابن هشام - بعض المشركين من قريش وقال له : يا أبا بصير : إنه يحرم الزنا فقال الأعشى، والله ان ذلك لأمر مالي فيه من أرب فقال له : يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر، فقال الأعشى : أما هذه فوالله ان في النفس منها لعلالات ولكنني منحرف فأترؤى منها عامي هذا ثم أتبه فأسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يعد الى رسول الله ﷺ. العلالة : بقية اللبن في الضرع، وبقية قوة الشيخ، ومنه حديث عقيل ابن أبي طالب : قالوا فيه بقية من علالة : (اللسان : المجلد : 11 ص : 469-470 - مادة : علل).

(234) (235) الرأي الغالب عند القدماء اللغويين ان فترة الاستشهاد تشمل العصر الجاهلي، وتمتد في عصر الاسلام إلى أواخر القرن الثاني الهجري، وهكذا جعلوا آخر من يحتاج بشعره في اللغة والنحو والصرف الشاعر ابا اسحاق ابراهيم ابن هرمة القهري (ت : 176 هـ) قال محمد بن زياد بن الاعرابي اللغوي الكوفي (ختم الشعر بابن هرمة)، وبناء على ذلك صنفوا الشعراء الى أربع طبقات :

- 1 - الطبقة الأولى : الشعراء الجاهليون : (امرؤ القيس، النابغة، طرفة، وغيرهم).
 - 2 - الطبقة الثانية : المخضرمون (كعب بن زهير، حسان بن ثابت، الحطيئة...) ويؤخذ بأشعار هاتين الطبقتين على أنه لغة يقاس عليها، وتبنى عليها قواعد النحو والصرف بالاجماع.
 - 3 - الطبقة الثالثة : الشعراء الاسلاميون المتقدمون الى أواخر القرن الثاني (عمر بن ابي ربيعة (ت : 93 هـ)، والفرزدق (ت : 110 هـ) وذو الرمة (ت : 117 هـ) وابن هرمة (ت : 176 هـ).
- إلا أن هناك من تحفظ في الاستشهاد بكلامها لاعتقاده بمحدثاتها أمثال ابي عمرو ابن العلاء الذي يقول في جرير والفرزدق : (لقد جن هذا المولد حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته) وقد ألف في هذه الطبقات الثلاث ابن سلام الجمحي (ت : 231 هـ) كتابه الشهير : «طبقات فحول الشعراء»، وصنفها الى خمسة اقسام :
- (1) الشعراء الجاهليون والمخضرمون. (2) طبقة أصحاب المراثي. (3) طبقة شعراء القرى العربية. (4) طبقة شعراء يهود. (5) شعراء صدر الاسلام) وهناك من رأى ضرورة امتداد عصر الاستشهاد الى أواخر القرن الرابع، ومنهم ابو منصور محمد الأزهرى (ت : 370 هـ) صاحب «معجم تهذيب اللغة» الذي وقع في أسر اعراب القرامطة سنة 312 بالخير في شبه الجزيرة العربية - فوجدهم يرحلون رحلتي الصيف والشتاء (ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش) ومن تساهل في المسألة ابن جني صاحب الخصائص الذي يرى ان المقياس في الاستشهاد هو سلامة اللغة وبقاء الفصاحة ونقاء السليقة ايا كان موطنها ومن ثم لم يأخذ عن اهل الوبر في عصره لعدم نقاوة سيلقتهم.

تعليق :

وبعد : فهذه نماذج من منهج التحقيق والتوثيق عند السهيلي في «روضة»،
أبانت مع غيرها⁽²³⁶⁾ عن إخلاصه لمبدأ الأمانة العلمية، وركضه بحماسة وراء
العوامض والمستغلات يحققها، ويجلي ما انهم منها وبديهي ان وراء هذا المنهج
مؤثرات تدخل في صميم تركيبته الثقافية فقد لاحظنا تقويمه للمتون، والأسانيد،
والرواة بنفس معايير علماء الجرح والتعديل، كما لاحظنا توظيفه لمجموعة من
الأدوات الأصولية الفقهية كالقياس والاستحسان، وسد الذريعة وغيرها، كما
سجلنا ميزته الكبرى التي لا يماثلها فيها الا الأقلون وهي جرأته الفائقة في تحليل
الأحكام وتفسير المواقف الناتجة عن المراقبة والتحقيق، والتوثيق، ناهيك بنفسه
الطويل في الاستقصاء، والتعقب، وتتبع الجزئيات الدقيقة.

- كما نوهنا بتشبهه بالمصادر والأصول الصحيحة، وإيراد اقوال الخصوم في الرد
عليها، وإنزال الناس منازلهم الحقيقية، واتهام العقل قبل النقل، ونشدان المرونة
عندما تكون نتيجة موضوعية للتحقيق وتوخيه للخطاب العلمي المتخلق الذي
لم تشوشه الا بعض لحظات هيمنت فيها سورة الغضب المشوب بغيرة علمية
دفيئة.

- ومع ذلك فإننا نأخذ على إمامنا عدم تحقيقه أحيانا لأخبار مستغربة، يوردها
دون ان يعمل فيها عقله الكبير، خاصة ما اتصل منها ببعض المغيبات التي لم
ترد في شأنها نصوص موثوق بصحتها، أو بعض الاحداث التاريخية الموغلة في
القدم والتي تعددت تأويلاتها، ونقتصر من ذلك على مثالين :

أ) عدم تحقيقه خبر ابن هشام عن الكعبة (ان الماء لم يعلها حين الطوفان ولكنه
قام حولها، وبقيت في هواء الى السماء وأن نوحا قال لأهل السفينة وهي تطوف

ويلاحظ أن السهيلي يؤمن بمصادقية الاستشهاد بالطبقات الثلاث الأولى، ولا يحتز احتراز ابي عمرو ابن العلاء
في جرير والفرزدق، الا انه لم يفتح باب الاستشهاد على مصراعيه كما فعل صاحب الخصائص. واستشهاده
بأنبي تمام (ت : 231 هـ) يلتقي مع نظرة ابي منصور محمد الأزهرى، لاجماع اللغويين على عدم لحن ابي تمام،
وتأكيد الأزهرى عدم لحن أعراب القرامطة، وان كان استثناء السهيلي لابي تمام لا يعني بالضرورة قياس غيره
عليه.

ولأخذ نظرة عن المناهل والبطون التي حرص اللغويون على الأخذ منها. ينظر الالفاظ والحروف لابي نصر
الفارابي، والاقتراح في اصول النحو للسيوطي ص : 56 تحقيق د. احمد قاسم والمزهر 511/1 - 512.

(236) تنظر تطبيقات اخرى في الروض : ج : 3، ص : 144-145-376-377-378 وج : 4، ص : 252.

بالبيت : «انكم في حرم الله، وحول بيته، فأحرموا الله، ولا يمس احد امرأة»، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا، فتعدى حام، فدعا عليه نوح أن يسود لون بنيه فاسود كوش بن حام ونسله الى يوم القيامة»⁽²³⁷⁾، ومعلوم أن آيات وأحاديث كثيرة تنقض مبدأ التفريق بين الناس على أساس ألوانهم.

(ب) عدم تحقيقه لما رواه من حديث سمعه يقرأ على الشيخ الحافظ ابي بكر ابن العربي بسنده الى جابر بن عبد الله قال «بيننا أنا مع رسول الله ﷺ نمشي اذ جاءت حية، فقامت الى جنبه، وأدنت فاها من أذنه، وكانت تناجيه، أو نحو هذا، فقال النبي ﷺ : نعم، فانصرفت قال جابر : فسألته : فأخبرني انه رجل من الجن، وأنه قال له : مر أمتك لا يستنجوا بالروث، ولا بالرمة فان الله جعل لنا في ذلك رزقا»⁽²³⁸⁾. فلو كان هذا النص المستغرب صحيحا لدخل في صميم النصوص التي استعرضت معجزات الرسول ﷺ على ان تأمل معجزاته الصحيحة الماثورة يفضي الى كونها من القبيل الذي يهر، ويخرق العادة، ولكنه يسكن النفس ويؤوب الى الطمأنينة، والدعة، والايمان، في حين ان الحادث المذكور يهر فعلا، ولكنه يزرع الهلع والرعب، وحاشاه عليه الصلاة والسلام ان يفعل وهو الذي بعث رحمة للمعالمين، وهو الذي شهد فيه باعته جل وعلا : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾⁽²³⁹⁾، ويرصد الأستاذ : عبد الرحمن الوكيل هذه الهانات فيصف السهيلي بأنه «ينقل ما يتفق مع الحق، وما لا يتفق في بعض أحيانه، ينقل ما يلمع بنور الحقيقة، وينقل ما يكمن فيه خبث الباطل، من رأى فطير، وحديث سنده أوهى من بيت العنكبوت، ومعناه كيد دنيء من طاغوت»⁽²⁴⁰⁾، ومع ذلك فان المتأمل البصير، المنصف لينهر أمام ميزات الرقابة، والدقة، والفحص التي تمثلت في كتاب حرم صاحبه أهم حاسة مسعفة في التحقيق والتوثيق، وهي حاسة البصر، لذا نجد الأستاذ الوكيل نفسه يعجب ويتساءل : «وما يزيدنا اعجابا بالرجل انه فقد بصره وان الكتب التي كانت في زمانه مخطوطة، فمتى طالع كل هذا ؟ وكيف طالعه ؟ وتراثه يشهد

(237) الروض الانف : ج : 2، ص : 264 وما بعدها.

(238) الروض الانف : ج : 2، ص : 264 وما بعدها.

(239) سورة آل عمران الآية : 159.

(240) الروض الانف : ج : 1، ص : 16/15 مقدمة المحقق.

بأنه استوعب كل ما قرأ، وبدت سعة اطلاعه، ونفاذ بصيرته، وقوة تفكيره في أكثر ما كتب⁽²⁴¹⁾.

ولا عجب أن ينبهر من قبل الوكيل اعلام كبار كجمال الدين القفطي الذي شهد في السهيلي «ان تصنيفه في شرح سيرة ابن هشام يدل على فضله ونبله وعظمته وسعة علمه»⁽²⁴²⁾، وأظن ان ابن دحية - تلميذ السهيلي - كان نبيا عندما شهد في شيخه بأنه إن كانت «تصانيفه كثيرة، فمذهبتها الروض الانف»⁽²⁴³⁾.

(241) الروض الانف : ج : 1، ص : 16/15 مقدمة المحقق.

(242) إنباه الرواة على أنباه النحاة ج : 2، ص : 162 الترجمة : 379.

(243) المطرب : ص : 236.

مصادر الروض الانف

أولا : تجريد المصادر : (201 مصدرا ومسألة)

حرف الألف

- 1 - الابدال ليعقوب ابن السكيت
- 2 - الابل لابي عبيد القاسم بن سلام
- 3 - الاجوبة عن المسائل المستغربة لابي عمر يوسف بن عبد البر القمري
- 4 - أحكام القرآن لبكر بن العلاء القشيري
- 5 - الاحكام السلطانية لابي الحسن علي بن محمد الماوردي
- 6 - أحكام النبي ﷺ لابي عبد الله محمد بن فرج المعروف بابن الطلاع
- 7 - أخبار مكة والمدينة لابن الحسن وزين بن معاوية العبدري السرقسطي
- 8 - أخبار مكة لابي الوليد محمد عبد الله الازرق
- 9 - أخبار المدينة لابي عبد الله الزبير بن بكار
- 10 - أخبار الردة لوتيمة بن موسى
- 11 - أدب الكتاب لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
- 12 - أسماء رجال السيرة لابي الوليد عبد الله المعروف بابن الفرضي
- 13 - أسماء رجال الموطأ لابي الحسن الدارقطني
- 14 - الاسماء والكنى لابي بشر الدولابي
- 15 - الاستيعاب في أسماء الاصحاب لابن عبد البر القرطبي القمري
- 16 - اشتقاق الاسماء لابي بكر محمد بن الحسين الشهير بابن دريد
- 17 - الاشربة لابي داود السجستاني
- 18 - إعراب القرآن لابي جعفر أحمد بن محمد النحاس
- 19 - أعلام السنن في شرح جامع البخاري لابي سليمان الخطابي
- 20 - الاغاني (سماء : الكتاب الكبير) لابي الفرج الاصفهاني
- 21 - الانفال والاسماء لقطرب

- 22 - الألفاظ ليعقوب بن السكيت
 23 - الامالي لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي
 24 - الامثال لحمزة بن الحسن الأصفهاني وهو المعروف بـ «سوائر الأمثال»
 25 - الاموال لأبي عبيد القاسم بن سلام
 26 - انتخاب نظم القرآن لأبي مكى محمد بن أبي طالب الجرجاني
 27 - انساب قريش لابي عبيد الله الزيري بن أبي بكر القاضي
 28 - الإكمال لابي نصر علي بن هبة الله الشهير بابن مأكولا
 29 - الأنواء لابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري
 30 - انتقال النور لمحمد بن عمر الواقدي
 31 - الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر

حرب الباء

- 32 - البارع لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي
 33 - البرهان لابي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني
 34 - البدء لابي بكر أحمد بن أبي خيثمة
 35 - البستان لعلي بن أبي طالب القيرواني العابد

حرف التاء

- 36 - تاريخ أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة
 37 - التاريخ الكبير لابي جعفر الطبري : (تاريخ الأمم والملوك)
 38 - التاريخ الكبير لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري
 39 - التعريف والاعلام بما اهتم في القرآن من الاسماء والاعلام للسهيلي
 40 - التنبيه على معاني «الفرائض وأصولها» لابي القاسم السهيلي
 41 - تفسير يحيى بن سلام التميمي البصري الافريقي
 42 - تفسير أبي الحسن الماوردي : (النكت في تفسير القرآن).
 43 - تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام
 44 - تفسير أبي بكر محمد بن الحسن النقاش : (شفاء الصدور)
 45 - تفسير عبد بن حميد الكشي
 46 - تفسير أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي
 47 - تفسير عبد الله بن عباس
 48 - تفسير أبي عبد الله محمد بن سنجر
 49 - تفسير بقي بن مخلد القرطبي
 50 - تفسير الطبري (جامع البيان تأويل آي القرآن)

- 51 - تفسير أبي عيسى الترمذي صاحب «السنن»
 52 - تسمية رجال الموطأ لأبي عبد الله بن يحيى المعروف
 53 - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
 54 - التقريب والارشاد لأبي بكر بن العربي المعافري
 55 - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر
 56 - التيجان لأبي محمد عبد الملك بن هشام «صاحب السيرة»

حرف الجيم

- 57 - الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري
 58 - الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري
 59 - الجامع المختصر لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي
 60 - الجامع لمعر بن راشد
 61 - الجامع لابن وهب
 62 - الجمهرة في نسب قریش لمصعب الزبيدي
 63 - الجمهرة في اللغة لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد

حرف الحاء

- 64 - حاشية أبي بحر سفيان بن أحمد بن العاصي
 65 - حاشية أبي الوليد الوقشي على سيرة ابن هشام
 66 - الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
 67 - الحماسة لأبي تمام الطائي

حرف الخاء

- 68 - الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني

حرف الدال

- 69 - الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر
 70 - الدلائل في شرح غريب الحديث لقاسم بن ثابت
 - ابن حزم السرقسطي

حرف الراء

- 71 - الرجال لعلي بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المديني
 72 - الردة لمحمد بن عمر الواقدي

- 73 - الرقاق لهناد بن السري
 74 - رواة مالك لابي الحسن الدارقطني
 75 - ري العاطش وأنس الواحش لاحمد بن عمار المهدي

حرف الزاي

- 76 - الزاهر لابي بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الانباري

حرف السين

- 77 - سر الصناعة لابي الفتاح بن جني
 78 - السابق واللاحق لابي بكر الخطيب
 79 - سنن أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي
 80 - سنن أبي عيسى الترمذي
 81 - سنن أبي الحسن الدارقطني
 82 - سنن أبي داود السجستاني
 83 - السنن لابي علي بن السكن
 84 - سيرة رسول الله للتمي الواقي
 85 - سيرة أبي محمد عبد الملك بن هشام
 86 - سيرة رسول الله لمحمد بن اسحاق المطلي
 87 - سير موسى بن عقبة
 88 - سيرة ابن شهاب الزهري
 89 - السيرة ليونس بن بكر
 90 - سير سليمان بن المعتمد

حرف الشين

- 91 - الشامل لابي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني
 92 - شرح صحيح البخاري للمهلب بن أبي صفرة
 93 - شرح صحيح البخاري لابي الحسن بن بطلال
 94 - شرح خطبة الرسول لابي بكر بن القاسم المعروف بابن الانباري
 95 - شرح أسماء الله الحسنى لابن العربي المعافري (الامد الاقصى في شرح أسماء الله الحسنى)
 96 - شرح أبيات الايضاح لاحمد بن سعيد السيرافي
 97 - شرح الامثال لابي عبيد البكري
 98 - شرح كتاب سيويه لابي بكر بن السراج
 99 - شرف المصطفى لابي سعيد عبد الملك النيسابوري

100 - الشمائل المحمدية لابي عيسى الترمذي

حرف الصاد

101 - الصحابة لابي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي

حرف الضاد

102 - الضعفاء والمتركون لابي جعفر محمد بن عمرو العقيلي

حرف العين

103 - العلل للاستاجي

104 - العلل لابي عيسى الترمذي، صاحب «السنن»

105 - العقيدة للاسفراييني

106 - العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

حرف الغين

107 - غرائب مالك لابي الحسن الدارقطني

108 - غريب القرآن للعتبي

109 - الغريب المصنف لابي محمد يحيى بن المبارك العدوي البزيري

110 - الغريين (غريب القرآن والحديث) لابي عبيد أحمد بن محمد الهروي

111 - غريب الحديث لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

112 - غريب الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام

113 - غريب الحديث لابي سليمان حمد بن محمد الخطابي

114 - الغريب المصنف لابي علي القالي

115 - الغوامض والمبهمات لعبد الغني بن سعيد الحافظ

حرف الفاء

116 - الفتوح والردة لسيف بن عمر التميمي الاسيدي

117 - الفصول لابي بكر محمد بن الحسن بن فورك

118 - فضائل مكة لرزين بن معاوية

119 - فضائل المدينة للزبير بن بكار

120 - فوائد الاخبار للاسكاف

حرف القاف

121 - القبور لابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا

122 - قصيدة أبي العباس الناشئ في نسب الرسول عليه السلام

حرف الكاف

- 123 - الكامل لابي العباس محمد بن يزيد المبرد
124 - الكتاب لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : سيبويه
125 - الكتاب الكبير لابي عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بابن القزاز
126 - الكتاب لعمر بن شبة
127 - الكتاب الكبير لعبد الله بن محمد بن حنين (نسبه أحيانا الى المعيطي)
128 - الكافي لابي جعفر النحاس
129 - كراسة في إعراب «لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا» لابي القاسم السهيلي

حرف الميم

- 130 - المبعث لابي سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري
131 - المحبر لابي جعفر محمد بن حبيب
132 - المحكم والمحيط الأعظم لابي الحسن علي بن اسماعيل ابن سيدة الغرناطي الضرير
133 - مدونة سحنون
134 - مراسيل أبي داود السجستاني
135 - مروج الذهب لابي الحسن المسعودي

مسائل الامام السهيلي التي أحال عليها(*)

- 136 - مسألة : رؤية الله تعالى في المنام
137 - مسألة : رؤية النبي ﷺ في المنام
138 - مسألة : «الآينية» في حديث الامة السوداء
139 - مسألة : الاعور الدجال
140 - مسألة : في أسرار «سبحان الله وبحمده»
141 - مسألة : اليدين المنمى بهما الى الذات الالهية
142 - مسألة : العين المنمى بها الى الذات الالهية
143 - مسألة : في شرح قوله تعالى : ﴿يَتَفَقَّ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ «فَيَسْطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ»
144 - مسألة : في شرح قوله تعالى : ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾
145 - مسألة : في شرح قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
146 - مسألة : في واو الثمانية

(*) تنظر في مبحث : «مسائل السهيلي المفردة» . ص : 92 من القسم الأول من رسالة الباحث.

- 147 - مسألة : في معنى أبواب الجنة وأبواب النار
- 148 - مسألة : في دلالات الاحرف التي تصدر بعض سور القرآن
- 149 - مسألة : في شرح قوله عليه السلام : «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»
- 150 - مسألة : في تحريم إتيان النساء في أعجازهن
- 151 - مسألة : في شرح حديث الشؤم الوارد في الموطأ
- 152 - مسألة : في شرح حديث : «لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه»
- 153 - مسألة : في أسرار المنوع من الصرف
- 154 - مستدرک أبي علي الفسائي على «الاستيعاب» لشيخه ابن عبد البر
- 155 - مستدرک أبي القاسم السهيلي على «الاستيعاب» لابن عبد البر
- 156 - مسند أبي سعيد الخدري
- 157 - مسند الامام أحمد بن حنبل
- 158 - مسند الامام الفريابي
- 159 - مسند الحارث بن أبي أسامة
- 160 - مسند أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي
- 161 - مسند أبي بكر أحمد بن عمرو البزار
- 162 - مسند أبي بكر بن أبي شيبة
- 163 - مسند عبد بن حميد الكشي
- 164 - مسند وكيع بن الجراح
- 165 - مشکل تأويل الحديث لابن قتيبة
- 166 - مصنف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
- 167 - مصنف حماد بن سلمة
- 168 - المصنف لابي عبيدة
- 169 - المعاني لابي جعفر النحاس
- 170 - المعارف لابن قتيبة الدينوري
- 171 - معجم ما استعجم لابي عبيد البكري
- 172 - المعجم لابي سعيد بن الاعرابي
- 173 - المعلم بفوائد مسلم للمازري
- 174 - المغازي لابي اسحاق الزجاج
- 175 - المقتضب لابي العباس محمد بن يزيد الميرد
- 176 - المقدمات لاوائل كتب المدونة لابي الوليد محمد بن رشد القرطبي
- 177 - المقنع لابي جعفر النحاس
- 178 - مقصورة ابن دريد

- 179 - المؤتلف والمختلف في أسماء القبائل لابن حبيب النحوي
 180 - الموطأ لمحمد بن عمر الواقدي
 182 - المؤتلف والمختلف لابي الحسن الدارقطني
 183 - المؤتلف والمختلف لابن الفرضي

حرف النون

- 184 - الناسخ والمنسوخ لابي داود السنجري
 185 - الناسخ والمنسوخ لابي حفص عمر بن شاهين
 186 - النبات لابي حنيفة الدينوري
 187 - نتائج الفكر لابي القاسم السهيلي
 188 - النساء لابي عمر يوسف بن عبد البر
 189 - نسب قريش للزبير بن بكار
 190 - نسب قريش لمصعب
 191 - النسب الكبير لابن الكلبي
 192 - الناسي أو (النامي) لابي جعفر الداودي
 193 - نقد الشعر لقدامة بن جعفر
 194 - النوادر لابي محمد عبد الله بن عبد الرحمان النفري المعروف بابن أبي زيد القيرواني
 195 - النوادر لابي علي القالي

حرف الياء

- 196 - الياقوت لابي عمر محمد بن عبد الواحد المطرز الزاهد والكتاب معروف
 ب « اليواقيت في اللغة »

تنبيه : تؤخذ بعين الاعتبار المصادر الخمسة المهمة التي سنشير إليها في التعليق
 ليم العدد الذي بلغناه وهو 201 مصدرا ومسألة.

تعليق على المصادر وشهادات في الروض الانف

لعل ما أثار جل الباحثين في «الروض الانف» توظيفه طائفة من المصادر القيمة النادرة، وقد بهر البعض تنصيب السهيلي نفسه على عدد مصادره التي اعتمدها، حين قال في مقدمة الروض : «... لكن تحصل في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب، وأسماء الرجال والانساب، ومن الفقه الباطن اللباب، وتعليل النحو، وصنعة الاعراب، ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا، سوى ما أنتجه صدري، ونفحه فكري، ونتجه نظري، ولقنته عن مشيختي من نكت علمية لم أسبق إليها، ولم أرحم عليها.

كل ذلك ييمن الله وبركة هذا الأمر الصحي لخواطر الطالبين والموقظ لهم المسترشدين والمحرك للقلوب الغافلة الى الاطلاع على معالم الدين.

مع أنني قللت الفضول، ولم أتبع شجون الاحاديث - وللحديث شجون - ولا جمحت بي خيل الكلام الى غاية لم أردّها، وقد عنت لي منه فنون، فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حجما، ولكنه كنيف⁽²⁴⁴⁾ مليء علما، ولو ألفه غيري لقلت فيه أكثر من قولي هذا⁽²⁴⁵⁾ والواقع أن الاطلالة على المكتبة الغنية للروض الانف تهدي الى اكتشاف طبيعة المنهج أو المناهج الموظفة في الحقل السيري يومئذ ومدى اتساعه وانفساخه، واستقائه من فنون شتى، كما تمكن من مقارنة المعالم الفكرية العامة للمكتبة الاندلسية حينئذ ويبدو أن هذا الكشف لا يقل أهمية عما نفيده من قراءتنا لفهارس، وبرامج أعلام الاندلس كغنية القاضي عياض⁽²⁴⁶⁾ وفهرست ابن خير⁽²⁴⁷⁾، وبرناج الرعيني⁽²⁴⁸⁾، والتجيبى⁽²⁴⁹⁾ وابن عطية⁽²⁵¹⁾ وغيرها. وحيث أن القدر لم يسعف إمامنا في تدوين برنامج على

(244) كنيف : وعاء ومنه شهادة عمر في عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : «إنه كنيف مليء علما أي أنه وعاء للعلم بمنزلة الوعاء الذي يضع فيه الرجل أذاته، وتصغره على جهة المدح له، وهو تصغير تعظيم للكنف : لسان العرب ج : 2 مادة : «كنف» ص : 310.

(245) الروض الانف : ج : 1 المقدمة.

(246) مطبوع حققه ماهر زهير جرار 1982 : طبعة بيروت، وله مخطوطة بقسم الوثائق بالرباط رقم 1807 د.

(247) نشره قدارة زيد بن وخليان رباح بسرقسطة سنة 1893م وأخذت عن أصله مصورات.

(248) حققه ابراهيم شيوخ، يقع في سلسلة أحياء التراث القديم رقم 4 دمشق 1962.

(249) حققه عبد الحفيظ منصور، ونشره سنة 1981 طبعة ليبيا تونس وله مخطوط بقسم الوثائق بالرباط رقم

3110 ك.

(250) حققه أبو الاجفان ومحمد الزاهي سنة 1980 طبعة بيروت وله مخطوطة بقسم الوثائق بالرباط رقم 1301 ك.

غرار ما فعله شيخه الجليل أبو بكر بن العربي المعافري⁽²⁵¹⁾ فإن مجرد تخصيصه على أبرز أصوله. ومصادره في «روضة» قد أبرز الملاحم العامة لهذا البرنامج الغائب.

وقد وفقنا بفضل الله إلى تجريد 196 مصدرا، ومسألة، صرح الامام بأسمائها كاملة أو مبتورة، ويمكن أن نضيف إليها خمسة أخرى ألمع إليها دون تحديد عناوينها أو تقريبها من القاريء، فجاءت على هذا المنوال التالي :

وجدت أو قرأت في بعض كتب المسعودي (197) أو في أحد كتب أبي بكر الزبيدي الاشبيلي (198) وفي كتاب ذي الحسين (199) وورد عند الفكهي (200) وفي بعض مسائل أبي علي الفارسي (201).

وبذلك تشارف هذه العملية مائتي مصدر، ومسألة⁽²⁵²⁾ مع العلم أنني لم أحص الدواوين الشعرية عدا الحماسة التي صرح بها ورغم ورود عشرات الشعراء، والقصائد، فأني لست واثقا من اطلاعه على الدواوين ذاتها، أم على مجرد القصائد مفردة، أو في مجاميع، فقد أورد نصوصا لحسان بن ثابت والنابغة، والاعشى وكعب بن زهير، والخطيئة، وابن الزبيري، والفرزدق، وجريز والأخطل، وضرار بن الخطاب، ومالك بن أسماء وعمرو بن إمام والرائجي، وأبي حدرود وغيرهم، مما يدل على استيعابه للمكتبة الشعرية الجاهلية والاسلامية. وإذا كنا قد كشفنا في مبحث : «ظاهرة التوثيق والامانة العلمية في الروض»، عن المعايير الدقيقة التي وظفها فيه، ومنها تعامله الحذر مع المصادر، فإننا نود التنبيه إلى أن هذه الأصول القيمة في مسيس الحاجة إلى دراسة معمقة واسعة تبين مطبوعها ومخطوطها ومفقودها، وتصنفها حسب العلوم والفنون لتستنبط من خلالها أصول الفكر الاندلسي في فترة من فترات ازدهاره وتألقه. وجدير بالاشارة إلى أن السهيلي أورد أسماء المصادر ومؤلفيها مختزلة في الأغلب، فاسترشدت بطائفة من البراجم الاندلسية وفي طليعتها فهرست ابن خير وابن عطية والتجيبى وكذا بعض كتب التراجم الاندلسية كبغية الملتمس، والاحاطة ونفح

(251) فهرست ابن خير : ص : 427، حدثه ابن العربي بها سماعا عليه.

(252) بلغ بها أستاذنا د. ابراهيم بن الصديق 155 مصدرا، غير أن فضيلته لم يدرج مسائل السهيلي المفردة ومصادر أخرى. تنظر دراسته القيمة : مميزات المدرسة المغربية في ضبط وقائع السيرة النبوية من خلال مصادر الامام السهيلي في «الروض الانف»، وهي مساهمة في الندوة الوطنية للسيرة النبوية بسلا بتاريخ 14/13/12 ربيع الثاني 1408 مرقونة على الآلة الكاتبة.

الطيب... لتحقيق أبرز الأسماء والعناوين. وهذا جهد المقل. ولست أدعي التقصي والاحاطة، فربما تكون قد زاغت عن البصر مصادر آخر.

وبعد : ألم يكن تساؤل محقق «الروض» المرحوم عبد الرحمان الوكيل وجيها : «فمتى طالع السهيلي كل هذا، وكيف طالعه ؟ وتراثه يشهد بأنه استوعب كل ما قرأ، وبدت سعة اطلاعه، ونفاذ بصيرته، وقوة تفكيره في أكثر ما كتب ؟»⁽²⁵³⁾.

والواقع أن هذه الخصائص الفريدة هي التي بوأَت الروض مكانة فريدة بين الأصول السيرية، إذ لا يكاد يخلو مصدر أو مرجع أعقبه - في موضوعه - ممن اعتماده والاحالة عليه. وقد عاش مؤلفه نشوة هذا الارتقاء، إذ كان «الروض» أحد مسموعاته المتميزة في مآلقه⁽²⁵⁴⁾ ثم مراکش⁽²⁵⁵⁾ كما يرى أستاذنا الدكتور محمد يسف أن تلميذ السهيلي ابن جميل المالقي (ت 605 هـ) أول من أدخل الروض الانف إلى المشرق، وحدث به هناك، ومؤلفه السهيلي لا يزال على قيد الحياة، وكان فيما حدث به من مروياته لهذا الكتاب ما تناقله الرواة في سند ابن الأهدل خلفا عن سلف⁽²⁵⁶⁾. وعموما فقد دخل إلى المشرق بأسانيد عالية في روايتهم أربعة على الأقل من أصحاب أبي القاسم السهيلي سمعا من مؤلفه⁽²⁵⁷⁾.

إذن لا غرو أن يصفه ابن دحية «بالمذهبة»⁽²⁵⁸⁾ وأن يصفه القفطبي بأنه دال على «فضل السهيلي ونبله، وعظمته وسعة علمه»⁽²⁵⁹⁾ وأن يصف الحافظ الزرقاني مؤلفه «بالحافظ العلامة ذي الفهم الدقيق، والمعاني الرائقة»⁽²⁶⁰⁾، وأن ينعتة الذهبي بأنه في روضه «أجاد وأفاد»⁽²⁶¹⁾ ويشهد ابن كثير بأنه ذكر في الروض «نكتا حسنة على السيرة لم يسبق إلى شيء منها أو أكثرها»⁽²⁶²⁾ ويصفه

(253) الروض الانف : - 1/15 المقدمة.

(254) المطرب ص : 232، وبرناج شيوخ الرعيني ص : 60 : ترجمة أبي الحسن سهل الأزدي الغرناطي.

(255) برناج شيوخ الرعيني : ص : 52 ترجمة ابن زيد الأموي، وص : 142 ترجمة أبي العباس أهل السهيلي النباقي.

(256) المصنفات المغربية للسيرة النبوية 776/4 (أطروحة مرقونة بدار الحديث).

(257) المصنفات المغربية للسيرة النبوية 773/4.

(258) المطرب : ص : 236.

(259) إنباه الرواة 162/2.

(260) شرح المواهب اللدنية : 78/1.

(261) تذكرة الحفاظ : 1349/4.

(262) البداية والنهاية : 318/12.

ابن سعيد في «المغرب» بـ «العالم المتفنن»⁽²⁶³⁾ وأن ينعت الصفدي الروض بأنه «كتاب جليل جود فيه السهيلي ما شاء»⁽²⁶⁴⁾ وأن يصفه ابن الجزري بأنه «كان بحرا في أنواع من العلوم لاسيما المعاني واللغة والنسب... وأنه بعد صيته وجل قدره»⁽²⁶⁵⁾ وأن يصفه ابن خلكان بـ «صاحب التصانيف الممتعة»⁽²⁶⁶⁾.

ورغم أن محققي سيرة ابن هشام لم يقفوا للسهيلي إلا على الروض فإنهم يقولون : «بحسب السهيلي هذا الكتاب، فقد دل فيه على إلمام واسع، وإطلاع غزير بمناح مختلفة، وتمكن من ألوان كثيرة من العلوم، فكان فيه المؤرخ واللغوي والأديب والنحوي والاختباري والعالم بالقراءات»⁽²⁶⁷⁾.

وقد كان تعليق الدكتور محمد يسف دقيقا وطريفا على الروض فقال : «فالروض الانف هو الذي من خلاله تعرف جمهور علماء المشرق على رسوخ الامام السهيلي وإمامته في العلوم الاسلامية عامة، فأحلوه المكانة اللائقة به من العناية والتقدير بما وضعوه عليه من حواش ومختصرات وتعقيبات ومناقشات، فكان له ذلك الموقع الممتاز بين الدواوين الكبرى التي إليها في هذا الشأن المآل، وعليها فيه المدار والاتكال»⁽²⁶⁹⁾.

(263) المغرب في حل المغرب : 448/1.

(264) نكت المهيان : ص : 187.

(265) غاية النهاية : 1 / 371.

(266) وفيات الاعيان : 3 / 144.

(267) السيرة النبوية : 19/1.

(268) المصنفات المغربية للسيرة النبوية.